الجمهورية العراقية
وزارة الاعـلام
مديرية الآثار العامة
بغـداد

سومر

مجلة علمية تبحث في آثار الوطن العربي وتاريخه

الجزء الاول والثاني | ١٩٧٥ | المجلد الحادي والثلاثون

ثبت الجزء

الصفحة		
أ	تقـديم	الدكتور عيسى سلمان
٣	ثم جاء الطوفان	الدكتور فاضل عبدالواحد
٣٩	دراسة نقدية لمسلة من بدرة	الدكتور صبحي انور رشيد
٥٥	الالهيات البابلية	الدكتور عبدالهادي الفؤادي
٧٥	تحريات وتنقيبات أثرية في دولة الامارات العربية المتحدة	ربيع القيسي
١٥٧	الصيانة واساليب التسقيف في بوابة ادد الآشورية	الدكتور عادل نجم عبو
١٦٥	المـــدائن	الدكتور طارق مظلوم
١٧١	كتابات الحضر	الدكتور واثق الصالحي
١٨٩	مخطوطتان مزوقتان من القاهرة	الدكتور عيسى سلمان
١٩٩	الصيانة الاثرية في واسط	عطا الحديثي
٢١١	المنبر في العصر الاسلامي الاول	الدكتور غازي رجب محمد
٢٣١	الاسرة العباسية في بغداد	الدكتور صالح أحمد العلي
٢٣٨	التنقيب في شهرزور	اسماعيل حسين حجارة
٢٧٥	تنقيبات البعثة الآثارية العراقية في مستوطن الدربحانية ـ امارة رأس الخيمة ـ دولة الامارات العربية المتحدة	منير يوسف طه
٣١١	خزن وصيانة المخطوطات	اسامة ناصر النقشبندي

التقـارير والانبـاء والمراسلات

٣٢٣	سقوط بغداد والخليفة المستعصم على منمنمة من تبريز	تعريب الدكتور فوزي رشيد
٣٢٧	مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين القديم	تعريب الدكتور وليد الجادر
٣٤٥	آثار متفرقة أحرزها المتحف العراقي	كمال منصور عبادة
٣٥٩	الزحف العمراني واثره فى ازالة معالم حضارية	عبدالصاحب الهر

ثم جاء الطوفان

بقلم : الدكتور فاضل عبدالواحد علي
قسم الآثار ، كلية الاداب ـ بغداد

★ نطاق البحث :

يتناول هذا البحث موضوع « الطـوفان » في المراجع المسمارية بصورة رئيسية اى في النصـوص السومرية والبابلية والاشورية المختلفة كمـا وانـه يتضمن في النهاية الاشارة الى «الطوفان» عـلى ضوء المكتشفات الاثرية في وادى الرافدين •

★ المدلول اللغوى لكلمة الطوفان في السومرية والبابليـة :

تعنـي الكلمـة السـومرية (a-ma-uru 5) والبابليـة (abubu) « الطوفان » اى ارتفـاع وطغيان المياه وهو حادث تصوره الاقدمون انه وقع في عصر موغل في القدم وكان كونيـا (cosmic) اى انه لم يقتصر على وادى الرافدين فقط وانما شمل العالم القديم باسره •

وبمرور الزمن توسع المدلول اللفظى لكلمـة (a-ma-uru 5) ومرادفتها (abubu) واشتق منها معاني جانبية لها علاقة بشكل او بآخر باحدى صفات الطوفان • وقد اصبح الطوفان لهوله وسعة رقعتـه وشدته شبحا مخيفا في ذاكرة البشرية على مـر العصور • ولذلـك صـارت كلمـة (abubu) في الاكدية مرادفة لمعنى الدمار والبأس والضراوة• ولنفس الاسباب ولان الطوفـان كـان في معتقدات الاقدمين حادثة بعيدة في زمن وقوعها ، فان الكلمـة صارت عند البابليين نقطة لتاريخ الحوادث القديمة• فنحـن نقرأ مثلا عن البطـل كلكامش (في حدود ٢٧٠٠ ق•م) انه « جاء باخبار ثمود الى ما قبـل الطوفان وعن اشوربانيبال (٦٦٨–٦٣١ ق•م•) قوله : « وأمعنت النظر في كتابة عـلى حجـر ثمود الى ما قبل الطوفان » •

واخيرا ولهول الطوفان وما سببه من دمـار

للبشرية صارت كلمة (abubu) تدل على «شيطان» او « عفريت » اسطورى اسبغ عليه الاقدمون صفات وخصائص جسدية مخيفة[١] •

★ المصادر المسمارية الرئيسة عن الطوفان

١ ـ قائمة الملوك السومرية
(The Sumerian King List)

تعتبر قائمة الملوك السومرية من الوثائق التاريخية الشهيرة التى اوردت ذكر الطوفان •

وتتضمن هذه القائمة اسماء الملوك في وادى الرافدين منذ اقدم الازمان وحتى نهاية سلالة ايسن التى حكمت في الفترة بين (٢٠٢٠ـ١٧٩٠ ق•م) •

يذكر مؤلف قائمة الملوك السومرية فيالبداية انه عندما انزلت الملوكية[٢] من السماء كانت الملوكية اولا في مدينة اريدو • وفي اريدو (اصبح) آلوليم (Alulim) ملكا وحكم ٢٨٨٠٠ سنة[٣] • ثم حكم الكار (Alagar) ٣٦٠٠٠ سنة • ثم يحصي عدد ملوك هذه السلالة وسنوات حكمها فيقول : « ملكان حكما ٦٤٨٠٠ سنة » •

ويستمر مؤلف قائمة الملوك بتتبع انتقال الملوكية على هذا النحو من مدينة اريدو الى المدن الاخرى • فيذكر مدينة بادتبيرا حيث حكم فيها ملكان فترة ١٠٨٠٠٠ سنة ثم مدينة لارك التى حكم فيها ملك واحد ٢٨٠٠٠ سنة ومن بعدها مدينة شروباك التي يقول عنها :ـ

« وفي شروباك اصبح اوبار ـ توتو (Ubar-tutu) ملكاً وحكم ٢٨٠٠٠ سنة • ملك واحد حكم ٢٨٠٠٠ سنة • ومن ثم يحصي مؤلف القائمة عدد من سبق ذكرهم من الملوك مع عدد سنوات حكمهم الاجمالي فيقول : « كانت خمس مدن وثمانية ملوك حكموا ٢٤١٠٠٠ سنة » •

بعد ذلك يذكر مباشرة الجملة التالية :ـ

« ثم اكتسح الطوفان (البلاد) وبعد ان اكتسح الطوفان (البلاد) نزلت الملوكية (ثانية) في مدينة كيش » •

ويتضح من هذا كله ان الطوفان كان من الحوادث التي اعارها المؤرخون الاقدمون في وادي الرافدين اهمية بارزة بحيث انهم صنفوا سلالاتهم

---

(١) حول هذه المعاني والمدلولات لكلمة الطوفان ، انظر القاموس الاشور: (C.A.D.) تحت Abubu المجلد الاول / القسم الاول ص ٧٧ وما بعدها •

(٢) اعتقد العراقيون القدماء بان الالهة اوجدت كثيرا من المفاهيم والانظمة وان الملوكية كانت من بينهما • فبعد ان اتمت الالهة خلق الانسان اصبح من الضروري تعليمه المفاهيم والانظمة والمظاهر الحضارية المختلفة • وقد عتقد الأقدمون ان كلا من هذه المفاهيم والانظمة انما توجدها وتنظمها قوة الهية اطلقوا عليها في السومرية كلمة ME والتي اصطلح المختصون على ترجمتها بـ « النواميس الالهية » •

(٣) ليس من شك في ان الارقام التي خصصها مؤلف القائمة الى ملوك ما قبل الطوفان على وجه الخصوص كانت خيالية بشكل واضح • واغلب الظن ان مثل هذه الارقام الكبيرة انما تعكس فكرة شائعة عند اكثر الامم القديمة وهي ان الانسان كان في « قديم الزمان » يتمتع بعمر طويل وصفات جسدية خارقة • ومن غير المستبعد ايضا ان مؤلف القائمة الذي لم يكن في حوزته على ما يظهر غير اسماء ثمانية ملوك من قبل الطوفان قد اضطر الى تطويل سنوات حكم كل منهم بالشكل الذي ذكره لنا ليستطيع تغطية الحقبة الزمنية التي تصورها واسعة جدا (٢٤١٠٠٠٠ سنة) والتي مرت بين ظهور اول سلالة حاكمة وبين حدوث الطوفان •

الى سلالات حكمت قبل الطوفان (Antediluvion) وسلالات حكمت بعده ٠

ب ـ قصة الطوفان السومرية :

من الحقائق المعروفة عن اصول التراث الحضارى فى وادى الرافدين انه كان للسومريين الفضل الاكبر في ابتداع مقوماته الاساسية ، في حين يتجلى فضل من جاء من بعدهم من الساميين (ابتداءً من العصر البابلي القديم على وجه الخصوص) في عملية الجمع والتنسيق والاضافات والتى تمخض عنها بالتالي نتاج جديد في شكله لكنه قديم في اصوله[٤] ٠

وقصة الطوفان السومرية ، مثل غيرها من المؤلفات والمعتقدات والافكار السومرية الاخرى ، كانت المنبع الذى استقى منه الساميون قصة الطوفان التى سنأتى على تفاصيلها فيما بعد ٠ لقد وصلنا من قصة الطوفان السومرية رقيم واحد فقط كان قد اكتشف في مدينة نفر ونشره لاول مرة الاستاذ بوبل عام ١٩١٤[٥] ٠ والرقيم الذى نحن بصدده لم يصل كاملا اذ لم يبق منه الا ثلثه الاخير فقط٠ وعلى الرغم من ان هذا الرقيم السومري ، في نظر بعض الباحثين[٦] ، قد دون في شكله الحالي في الجزء الاخير من العصر البابلي القديم (في حدود ١٦٠٠ ق٠م٠) ، الا اننا لا نشك في انه نسخة لتأليف سومرى اقدم من هذا التاريخ بقرون عديدة خاصة وان الاشارة الى الطوفان قد وردت فعلا في نصوص سومرية ادبية ـ دينية تتعلق بالملك اشمي ـ دكان (Ishmedagan) ١٩٥٣-١٩٢٥ ق ٠ م) واور ـ ننورتا (Ur - Ninurta ١٩٢٣ - ١٨٩٦ ق ٠ م ٠) ٠

ومن اجل توضيح الاثر الذى تركه السومريون في تراث من تلاهم في مجال المعتقدات الخاصة بالطوفان ، لابد لنا من اعطاء ملخص لتفاصيل قصة الطوفان السومرية لكي نستطيع من خلال ذلك تبين اوجه الالتقاء والاختلاف بينهما وبين نظيراتها من القصص والاساطير اللاحقة والتى سيكون لها حيزا كبيرا في هذا البحث ٠

ذكرنا بان الرقيم موضوع البحث مهشم وانه نتيجة لذلك فقد ضاع سبعة وثلاثون سطرا من البداية ٠ وعندما ينتظم النص ثانية فاننا نقرأ على لسان احد الالهة ما معناه انه يريد انقاذ البشرية من

---

(٤) حول المزيد من التفاصيل بخصوص كل من السومريين والساميين في ميدان الابداع الحضاري في وادى الرافدين ، انظر ملاحظاتنا في كتاب « عشتار ومأساة تموز » ص ٢٥ وما بعدها ٠

(٥) Poebel, PBS, Vol. Iv/I, P. 7-70; vol V/I, Pls. LXXXVI - LXXXVII.

ثم تلاه بعد ذلك عدد من الاساتذة ممن علقوا على هذا النص وقدموا دراسة مستفيضة له ، نذكر منهم على وجه الخصوص الدكتور كريمر والدكتور سيفيل : Kramer, Sumerian Nythology. (1944). pp. 97 ff;

From The Tablets of Sumer (1956), pp. 170; ANET (Third edition 1969) pp. 42-44.

M. Civil, "The Sumerian Flood Story", in Atrahasis : The Babylonian flood (1969) pp. 138 ff.

(٦) انظر M. civil في بحثه المشار اليه في الحاشية رقم (٣) ٠

الدمار ويريد ان يرجع الناس الى مواطن سكناهم • بعد ذلك يتطرق النص وباختصار (الاسطر ٥٧ـ٥٠) الى خلق الانسان على يد الالهة آنو (Anu) وانليل (Enlil) ونخرساك (Ninhursag) والى تكاثر الحيوانات والماشية في كل مكان • ثم تأتي فجوة في النص (الاسطر ٥١ـ٥٧) تقرأ بعدها عن نزول الملوكية من السماء الى الارض وعن توزيع السلطات بين الالهة ليحكم كل منهم في مدينة معينة • وتذكر القصة السومرية للطوفان بهذا الخصوص ان الالهة نوديمد[٧] (Nudimud) نصب في مدينة اريدو (Eridu) والالهة نونك (Nugig) [٨] في بادتيبرا [٩] (Badtibira) وبابلساك (Pabilsag) في لارك (Larak) واوتو (Utu) في سبار (Sippar) والالهة[١٠] (Sud) في مدينة شروباك (Shuruppak).

ثم تأتي فجوة اخرى في النص (الاسطر ١٠٠ـ١٣٩) بعدها ينتظم النص ثانية فنقرأ عن بكاء الالهة ننتو (Nintu) والالهة انانا (Inanna) على البشر لما حل بهم من دمار بسبب احداث الطوفان من دون شك • ونقرأ في الاسطر (١٤٢ـ١١٤) عن عدم رضا انكي اله « العمق » على ما اقدمت عليه الالهة مجتمعة بهذا الخصوص • وسيكون للاله انكي دور رئيسي ، كما سنرى ذلك بعد قليل ، في قصة الطوفان برمتها اذ يعود الفضل اليه في انقاذ البشرية من دمار كلي محقق • وفي سطر (١٤٥) من النص موضوع البحث يأتي ولاول مرة ذكر زيوسدرا (Ziusudra) ، بطل قصة الطوفان في النسخة السومرية ، الذى له ما يناظره وتحت اسماء اخرى في قصص الطوفان البابلية والذين سنأتي على ذكرهم تفصيلا فيما بعد • والذى يهمنا ذكره في الوقت الحاضر ان زيوسدرا يوصف بكونه «ملك» ، علماً بان اسمه لم يذكر في قائمة الملوك السومرية[١١] • ومن جهة اخرى لا تعرف في الوقت الحاضر المدينة التي كان يحكم فيها «زيوسدرا» خلافا لما هو معروف عن نظيره اوتابشتم (Utnapishtim) بطل قصة الطوفان في ملحمة كلكامش الذى كان يعيش في مدينة شروباك (فارة)• ويظهر في النص السومرى لقصة الطوفان ان زيوسدرا كان يقف الى جوار جدار عندما سمع صوت اله يهمس ويقول : « ايها الجدار اريد ان اتحدث اليك فاستمع الى كلماتي واصغ الى وصاياي ••••• » ثم يخبره بان الطوفان آت وانه سيقضي على البشر • بعد ذلك تأتي فجوة النص (الاسطر ١٦١ـ٢٠٠) والتي لابد وان تضمنت تفاصيل وافية عما حدث في البلاد من دمار وما ألحق بالبشر من هلاك بسبب الطوفان ومن المحتمل انها تضمنت ايضا نصيحة الاله المتكلم (وهو انكي اله مياه العمق) الى

---

(٧) من القاب الاله انكي (Enki) اله المياه السفلى والذي سيكون له دور كبير في قصة الطوفان كما سنرى ذلك بعد قليل •

(٨) من القاب الالهة انانا (عشتار) •

(٩) انظر تعليق الدكتور (M. Civil) على قراءة هذا الاسم بدلا من (Hendursag) في ص ١٧٠ من بحثه المذكور في الحاشية رقم (٣) •

(١٠) الهة كانت تعبد في مدينة فارة (شرباك) •

(11) Jacobsen, The Sumerian King List, p. 76, n. 34.

زيوسدرا بان يشرع الاخير بصنع سفينة تنقذه واهله على غرار ما جاء في قصة الطوفان البابلية • ذلك لاننا نقرأ بعد الفجوة مباشرة (اى من السطر ٢٠١) من النسخة السومرية بان الطوفان قد اكتسح الارض وانه استمر سبعة ايام وسبع ليالي كان خلالها زيوسدرا ومن معه قابعين في سفينتهم وسط الامواج الهائجة :ـ

وجاءت كل الرياح والعواصف المدمرة
واكتسحت الزوابع العواصم
وبعد ان اكتسحت الزوابع البلاد في
سبعة ايام وسبع ليالي
وتأرجحت السفينة مع الرياح المدمرة
في المياه العالية
وبزغت الشمس منيرة الارض والسماء ،
ففتح زيوسدرا كوة في السفينة الواسعة
وركع الملك زيوسدرا امام اله الشمس
ثم نحر الملك عددا كبيرا من الثيران
والاغنام

بعد هذا ينخرم النص (الاسطر ٢٢٢ـ٢٥٠) وعندما ينتظم ثانية نقرأ ان الملك زيوسدرا كان يقدم الصلوات الى الالهين آنو وانليل « اللذين رفعاه الى الحياة الاولية مثل الالهة » :

وركع زيوسدرا امام آنو وانليل ،
اللذين منحاه الحياة مثل الالهه
اللذين رفعاه الى الحياة الازلية مثل
الالهة
وآنذاك اسكنا الملك زيوسدرا ،
الذي انقذ بذرة الانسان من (؟) الدمار
في بلد على البحر ، في الشرق في ،
دلمون (Dilmun)

ويتضح من هذا المقطع ان الملك زيوسدرا قد كوفيء مقابل انقاذه نسل البشرية من الفناء بان منحته الالهة في النهاية حياة ازلية فاصبح بذلك يتمتع بصفة الخلود مثل الالهة ، وانها جعلت مسكنه في مدينة دلمون الواقعة على البحر والتي يتفق اغلبية الباحثين على تشخيصها اليوم بجزر البحرين •

يظهر من هذا العرض الموجز لتفاصيل قصة الطوفان في النسخة السومرية انها تتناول بصورة رئيسة ثلاث قضايا اساسية اولها خلق الانسان (وما تبع ذلك من خلق الحيوانات والنباتات ونشوء المدن) وثانيها حدوث الطوفان الذى اريد به القضاء على البشر كليا وثالثها ان هناك منقذ يقوم ببناء سفينة للنجاة وانه يكافأ مقابل ذلك بالخلود • ان هذه النقاط ستكون هى الاخرى المحور الاساسى الذى تدور حوله قصة الطوفان في المراجع البابلية والاشورية •

ج ـ قصة الطوفان البابلية :

تأثر الكتاب البابليون بقصة الطوفان السومرية بصورة مباشرة فاخذوا موضوعها وخطوطها العريضة ولكنهم اضافوا اليها ، كما فعلوا ذلك بالنسبة لمعظم التأليف الادبية ذات الاصل السومرى ، جوانب وافاق وشخصيات جديدة مما اسفر عن ظهور نتاج ادبي جيد في شكله قديم في اصوله •

وصلنا عدد لا بأس به من رقم الطين التي تحتوى على اجزاء من قصة الطوفان البابلية التي اصطلح المختصون في المساريات على تسميتها ايضا

بقصة اتراخاسيس (Atrahasis) نسبة الى بطلها الذى يقابله اوتابشتم في ملحمة كلكامش والذى سنأتي على ذكره تفصيلا في موضع لاحق • واقدم هذه الرقم يعود الى العصر البابلي القديم وقد استنسخزمن الملك البابلي آمي صدوقاAmmisaduqa ١٦٤٦–١٦٢٦ ق•م) ، كما ان اغلبها جاء من مدينة سبار • وهناك نصان من هذه القصة البابلية يعودان الى العصر البابلي الوسيط • وجدير بالذكر ان واحدا منهما كان قد عثر عليه في اوغاريت (رأس شمرة) • وهناك ما لايقل عن اربعة عشر رقيماً من القصة تعود الى العصر الاشوري الحديث حيث انها وجدت في مكتبة اشوربانيبال في مدينة نينوى •

وجدير بالملاحظة ان معظم هذه الرقم وصلتنا مهشمة وان احسنها حفظا ثلاثة تعود الى العصر البابلي القديم كتبت بخط ناسخ اسمه كو ـ ايا (KU - Aya) [١٢] في زمن الملك آمي صدوقا •

ومن اهم ما يذكر بخصوص هذه الرقم انها جاءت مذيلة ومؤرخة بخط الناسخ • يقول الناسخ كو ـ ايا في التذييل على الرقيم الاول انه كتب في اليوم الحادى والعشرين من شهر نيسان[١٣] في السنة[١٤] التي (صنع فيها) الملك آمي صدوقا

---

(١٢) للعلامة KU لفظان اساسيان • فهي اما ان تقرأ ellu بمعنى « نقي ، طاهر » ويكون الاسم انذاك ellit Aya « الالهة النقية ايا » او ان تقرأ Kaspu « فضة » فتكون قراءة الاسم حينئذ Kasap Aya « فضة ايا » • ونحن لا نشاطر الاستاذ لمبرت الرأى باستبعاده القراءة الاولى وذلك لان هذه الصيغة قد وردت فعلا اذ ترجم اسم الملكة Ku - baba في احد النصوص الى الاكدية ellit baba « النقية بابا » (انظر : Jacobsen, The Sumerian King list, p. 104 n. 196.

ولكن من غير المستبعد ايضا ان تكون قراءة اسم هذا الناسخ بشكل Kasap Aya في ضوء الاسم السومري Ku-Ningirsu-Ka (Faibenstein, S G III , p 51.) الذي يثبت بصورة لا تقبل الشك بان الاسم يتكون من مضاف ومضاف اليه « فضة ننكرسو » (وعلى غرارة فضة ايا) وليس من مبتدأ وخبر « النقي ننكرسو » •

(١٣) تبدأ السنة البابلية عادة في شهر نيسان في (Nisanu) وتشمل اثنى عشر شهرا آخرها اذار •

(١٤) لم يتخذ سكان وادي الرافدين نقطة زمنية ثابتة يؤرخون بموجبها الحوادث خلافا لنا اذ نحن نتخذ على سبيل المثال من ميلاد السيد المسيح ومن هجرة الرسول محمد (ص) نقطة لتاريخ الحوادث • غير ان السومريين ومن بعدهم البابليين اتبعوا طريقة للتقويم المحلي تقوم على تسمية كل سنة من سنوات حكم الملك بحادثة معينة شهيرة • وكانت هذه الحوادث (التي تعرف حاليا بالمصطلح date-formulas) تعمم على امراء وحكام المدن التابعة لاستعمالها في تاريخ المكاتبات والوثائق والعقود • وعلى هذا الاساس فان كل سنة من سنوات حكم الملك (وليكن هنا امي صدقا على سبيل المثال ١٦٤٦ ـ ١٦٢٦ ق•م•) قد سميت بحادثة معينة شهيرة • ويتبين من دراسة اسماء السنوات الخاصة بهذا الملك البابلي ان « السنة التي صنع فيها آمي صدقا تمثالا لنفسه » تمثل السنة الثانية عشرة من حكمه والتي تقع بموجب تاريخ حكمه المذكور في اعلاه في حدود ١٦٣٤ عندما انتهى الناسخ كو ـ ايا في اليوم الحادى والعشرين من شهر نيسان من استنساخ الرقيم الاول من قصة الطوفان البابلية « اتراخاسيس » • وينبغي ان نذكر بان الناسخ كو ـ ايا قد ابتدأ لسبب او لاخر في استنساخ الرقيم الثاني من قصة الطوفان قبل الرقيم الاول ذلك لان انشاء « حصن امي صدوقا » الذي يشير اليه الناسخ في تذييل الرقيم الثاني انما يقع في السنة الحادية

تمثالا لنفسه (يملئه) وهو يحمل جديا على صدره وان تمثاله ٠٠٠٠٠ منتصرا (؟) ٠

اما الرقيم الثاني فقد استنسخ في اليوم « الثامن والعشرين من شهر شباط في السنة التي انشأ فيها الملك آمي صدوقا دور (حصن) آمي صدوقا عند فوهة قناة سبار » ٠ ويقول الناسخ عن الرقيم الثالث بانه انتهى من استنساخه « في أليوم الثامن والعشرين من شهر ايار في السنة التى (صنع فيها) الملك آمي صدوقا تمثالا لنفسه ٠٠ » ٠

واستنادا الى قوائم الحوادث التاريخية[١٥] يكون كو ـ ايا قد انتهى من كتابة الرقيم الاول في حدود سنة ١٦٣٤ قبل الميلاد ٠

ولم يكتف الناسخ كو ـ ايا بذكر تاريخ عشرة (١٦٣٣ ق٠م٠) من حكم هذا الملك بموجب قوائم سنوات حكمه ٠

انظر : (Reallexikon der Assyriologiesub: Datenlisten, p. 190 n - 260 : 11, 12).

(١٥) انظر الحاشية السابقة ٠

(١٦) اعتاد الادباء السومريون والبابليون على تسمية مؤلفاتهم الشعرية والنثرية بالبيت او السطر الاول من كل منها ٠ ولهذا السبب فقد سميت قصة الطوفان البابلية موضوعة البحث « عندما كانت الآلهة مثل البشر» لانها تبدأ فعلا بهذا السطر٠ كما سموا على سبيل المثال ايضا قصة الخليقة البابلية بـ « عندما كان في العُلى » لانها تبدأ بهذا البيت ٠ ولذلك فقد نظم العراقيون القدماء قوائم بفواتح التاليف الادبية النثرية والشعرية واستخدموها بمثابة الفهارس في المكتبات ٠ حول مزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر :

Kramer, History Begins At Sumer (Thames and Hudson 1956), pp. 290 - 296; "New Literary catalogue From Ur", Revue d'Assyriologie LV (1961), pp. 169 - 176.

كتابته للرقم الثلاثة وانما احصى عدد اسطر كل رقيم منها (والتي كانت على التوالي ٤٣٩ ، ٤١٦ ، ٣٩٠ سطرا) واعطى مجموع اسطر الرقم الثلاثة الذى بلغ ١٢٤٥ سطرا على حد قوله ٠ نذكر هنا على سبيل المثال الى الناسخ كو ـ ايا قد ذيل الرقيم الاول بالعبارة التالية : الرقيم الاول « عندما كانت الالهة مثل البشر[١٦] عدد اسطره ٤٣٩ ، بخط كو ـ ايا ، صغير النساخ[١٧] ٠

اما تفاصيل قصة الطوفان (اتراخاسيس) موضوعة البحث فاننا سنأتي على ذكرها في موضع لاحق من هذا البحث ويكفي ان نذكر هنا بانها تتناول ثلاثة امور رئيسة :ـ

(١) خلق الانسان ليحل محل الالهة في

(١٧) يعني التعبير السومري dub-sar-tur حرفيا « الناسخ الصغير » على عكس dub-sar-mah « الناسخ الكبير » ومن لواضح ان كلمة صغير (ومرادفتها sihru في الاكدية انظر القاموس الاشوري المجلد ١٦ ص ١٨٢) قد اريد بها المرتبة في الحرفة ، وهي الخط هنا ، وليس العمر ٠ فمن المعروف ان النساخ كانوا على مراتب بحسب مهاراتهم في الخط والاستنساخ ٠ فهناك بالاضافة الى الصنفين السابقين كبير النساخ gal-dub-sar (بالاكدية rab tupshari) وكذلك Shaman-la (بالاكدية Shamallu)

« الناسخ المساعد » ٠ ومن الامثلة على الصنف الاخير نذكر الناسخ نابو ـ رختو ـ اصر الذي حفظ لنا بخط يده نسخة من القصة الهزلية ذائعة الصيت « فقير من نفر » (انظر تذييل هذا الناسخ في مقالتنا « من ادب الهزل والفكاهة عند السومريين والبابليين » سومر ٢٦ [١٩٧٠] ، ص ٨٧ ـ ١٠٠) ٠

تحمل مشقة العمل (٢) تكاثر الناس وازدياد ضجيجهم وقرار انليل بانزال الوباء والقحط عليهم لانقاص عددهم (٣) ثم احداث الطوفان لأبادتهم •

د ـ قصة الطوفان في ملحمة كلكامش :

من المعروف ان الرقيم الحادى عشر من ملحمة كلكامش يتناول موضوع الطوفان الذى اجمعت الالهة على احداثه لافناء البشرية • وتدور حوادث القصة في هذا الرقيم من ملحمة كلكامش في شروباك المدينة التي قامت فيها آخر سلالة حاكمة[١٨] قبل حدوث الطوفان • وبطل هذه القصة هو اوتابشتم (Utnapishtim) الذى قصده البطل كلكامش ليسأله عن سر خلدوه الابدى •

وقد روى اوتابشتم من خلال الحوار الذى دار بينه وبين كلكامش انه كان يعيش في مدينة شروباك وكيف ان الاله ايا كشف له النقاب عن قرار الالهة باحداث الطوفان • ثم يأتي اوتابشتم بعد ذلك على ذكر تفاصيل بنائه لسفينة النجاة التي حملته ومن معه من بشر وحيوانات وطيور ومؤن خلال الطوفان الهائل وكيف ان الالهة وهبته الخلود في نهاية المطاف •

والملاحظ في قصة الطوفان كما جاءت في ملحمة كلكامش انها لا تحتوى على التفاصيل الأخرى التى جاءت في قصة الطوفان البابلية « اتراخاسيس » والتى تتعلق بخلق الانسان وبانزال الوباء والقحط في الارض • ومن الواضح ان قصة الطوفان كما جاءت في الرقيم الحادي عشر من ملحمة كلكامش تعتمد بصورة رئيسة على قصة الطوفان البابلية «اتراخاسيس» التي جئنا على ذكر اولياتها في الفقرة الاولى ، سواء في الهيكل العام للقصة ام في مضمونها وحتى في تشابه بعض التعابير •

هـ ـ الطوفان في المراجع غير المسمارية

هناك مصادر اخرى عن الطوفان يمكن ان نسميها بالمصادر غير المسمارية والتي تشمل الكتب المقدسة وما كتبه بعض المؤرخين المتأخرين مثل بيروسيس[١٩] (Berossus) وغيره • ولما كان هذا البحث يعنى اساساً بموضوع الطوفان في المراجع المسمارية فقط لذلك فاننا سوف لا نتطرق الى ذكر ومناقشة ما ورد عن الطوفان في المراجع المذكورة في هذه الفقرة باستثناء اشارة عابرة الى التوراة (التكوين الاصحاحات ٦ـ٩) لاظهار مقدار الاثر الذى تركه تراث وادى الرافدين في معتقدات العبرايين الخاصة بالطوفان •

★ ابطال قصة الطوفان

يبرز في قصة الطوفان بنسختيها السومرية عدد من « الشخوص » ، ان صح استعمال مثل هذا التعبير هنا ، ممن كان لهم دور فعال في احداث

---

(١٨) جاء في هذه السلالة ملك واحد هو اوبار ـ توتو (Ubar-tutu) الذي خصصت له قائمة الملوك السومريين مثل غيره من الملوك الاوائل سنوات حكم خيالية بلغت ٢٨٨٠٠ سنة •

(١٩) كاهن في معبد الاله مردوخ في مدينة بابل ، عاصر الاسكندر المقدوني والف كتابا الى الملك انطوخس الاول (Antichus I ٢٨٠ ـ ٢٦١ ق•م•) عن تاريخ بابل ضمه معلومات عن الطوفان البابلي • غير ان هذا الكتاب قد ضاع ولم يبق منه سوى مقتبسات كتب بعض المؤلفين الاغريق اللاحقين •

القصة • وهؤلاء على نوعين ، اما من الالهة او من البشر • وبقدر ما يتعلق الامر بالالهة فانه من الاوفق ان نبدأ بذكر الاله انو (Anu) رئيس مجلس الالهة السومرية ـ البابلية على الرغم من انه لم يكن في الواقع الاله ـ البطل في قصة الطوفان كما سنرى ذلك •

كان هذا الاله يعبد في مدينة الوركاء حيث اقيم له ، في عصر مبكر من فجر الحضارة ، معبد يعرف اليوم بين الاثاريين بـ« المعبد الابيض » (نسبة الى طلاء الجص الابيض على جدرانه) والذى ما زالت بقاياه قائمة على مصطبة من الطين (زقورة) ترتفع الى ما يربو على خمسين قدما • وكان مقر هذا الاله في السماء • والحقيقة ان اسمه (An في السومرية و Anu, في الاكدية) يعنى السماء • وباعتباره اله السماء ومصدر الالوهية فانه الاله الوحيد الذى يستثنى اسمه من العلامة الدالة التي تكتب عادة قبل اسماء كل الالهة الاخرى • ويبدو ان هذه المنزلة الرفيعة التي كان يحتلها الاله انو باعتباره « ملك الالهة » قد جعلته في منأى بعيدا عن الالهة وعن القضايا الحاسمة في مجلسها فاصبح بمرور الزمن مجرد رئيس رمزى • ومن جهة اخرى فان المكانة المرموقة والشهرة الواسعة التى اكتسبهتا الهة الحب والجنس انانا (عشتار) في معبدها اي ـ انا الكائن ايضا في مدينة الوركاء قد اسهم من دون شك في اضعاف مركز الاله انو في هذه المدينة • وبقدر ما يتعلق الامر بدور الاله انو في احداث قصة الطوفان فانه كان من المتضامنين مع بقية الالهة التي صممت على انزال الكوارث المدمرة الكبرى كالوباء والقحط والطوفان وبصفته رئيسا للالهة فانه كان يجمعها في كل مرة لتبادل الرأى ووضع الخطط وتوزيع المسؤوليات •

واذا ما انتقلنا من الاله انو باعتباره رئيسا لمجموعة الالهة فاننا نجد ان الدور الاساس في قصة الطوفان كان يتمثل بانليل اله العواصف الذى كان مركز عبادته في مدينة نفر وفي معبده المشهور اي ـ كور (Ebur). وقد تصوره العراقيون القدماء بانه اله عنيف شديد الانتقام من خصومه • وقد حفظت المآثر السومرية على ذلك عددا من الامثلة • فاليه يعزا من الوجهة النظرية بالطبع ، تدمير الامبراطورية الاكدية انتقاما لتدنيس احد ملوكها (نرام ـ سن ٢٢٩١ـ٢٢٥٥ ق•م•) معبد هذا الاله في مدينة نفر[٢٠] • واليه يعزا ايضا اسقاط سلالة اور الثالثة في زمن اخر ملوكها (ابي ـ سن ٢٠٢٩ ـ ٢٠٠٦ ق•م•) عندما ارسل ضدها جحافل المارتو (الاموريين) والعيلاميين[٢١]• ويبرز الاله انليل هنا في قصة الطوفان بدور الساخط

---

(٢٠) كان تدمير مدينة اكد على يد الاله انليل موضوعا لتأليف سومري طويل اصطلح المختصون على تسميته بـ « لعنة اكد » (The Curse of Agase) ويجد القارىء الان ترجمة لهذا النص السومري بقلم الاستاذ كريمر في :
ANEt, Third Edition (1969), pp.

(٢١) هناك عوامل سياسية واقتصادية ادت الى اسقاط هذه السلالة التي تعتبر اخر سلالة سومرية في التاريخ • حول مزيد من التفاصيل انظر على التوالي :

Folkenstein, " Ibbisin - Ishbiera "
ZANF XV (1949), pp. 59-79;
Jacobsen, "The Reign of Ibbisin",
JCS XII (1953), pp. 36-47;
Edzard, Die Fweite Fwischenzeit
Babylonien (1957), pp. 44-51

على البشرية لانه ما انفك يضع الخطة بعد الاخرى في سبيل اهلاك وافناء الناس • وسنرى من خلال استعراض تفاصيل قصة الطوفان كيف ان هذا الاله قد حرض الالهة الاخرى على اتخاذ قرار بافناء البشرية • وكانت حجة انليل في ذلك ان الناس قد تكاثروا الى حد ان ضجيجهم اصبح يقظ مضجعه وانه لم يعد يجد طعما للراحة او للنوم • وبسبب ذلك فانه اقنع الالهة بانزال الوباء على الناس لينقص من اعدادهم • وعندما تفتك الامراض والاوبئة بالناس وتتعالى اصواتهم مستغيثين بالله الحكمة انكي الذى يهب الى نجدتهم ويفشل بذلك مخطط الاله انليل • ويصر انليل على الانتقام من الناس فينزل عليهم القحط في هذه المرة • ولكن انكي يسرع الى نجدتهم كما فعل في المرة الاولى • وازاء ذلك تثور ثائرة انليل فيعقد العزم على احداث الطوفان لافناء البشرية على النحو الذى سنأتي على تفاصيله فيما بعد • ويكفي ان نذكر في هذا الموضع انه على الرغم من شدة ووحشية الاجراءات التي ابتدعها انليل لافناء البشرية فان من بقي منهم على ظهر السفينة كان كافيا لبعث ونشر الحياة على الارض من جديد بعد انتهاء الطوفان وتشعر الالهة في خانمة المطاف بجسامة الذنب الذي اقترفوه بحق الانسانية فيلقون باللوم على الاله الذى دفعهم بطيشه وتهوره الى احداث الطوفان ويتلقى الاله انليل في هذا الموضع من قصة الطوفان اقسى عبارات التقريع من اله الحكمة ايا الذى يطلب منه في النهاية ان يكفر عن ذنبه ويجازي ذلك الانسان الذي بنى سفينة النجاة وانقذ نسل الانسان من الزوال •

وينصاع الاله انليل فيعتلى السفينة ويأخذ بيد رجل الطوفان ثم يمسح ناصيته مباركا ويمنحه الخلود •

ومن الالهة المهمة التي لعبت دورا بارزا وبناء في قصة الطوفان ايا (E a) اله الحكمة والمياه «العمق» اي المياه السفلى التي سماها السومريون والبابيلون ابسو (Apsu). • وقد صور الاقدمون هذا الاله من خلال ما تركوا من قصص واساطير بانه اله محب لفعل الخير ولتقديم يد العون لسائله • ولانه اله الحكمة فقد كان ملاذا للالهة وللبشر على حد سواء لانقاذها من ورطتها عند الازمات • ثم ان البشرية مدينة له بموجب قصة الطوفان لانه كان يأتي في كل مرة بالحيلة والوسيلة لافشال خطط الاله انليل عندما انزل على الناس الوباء والقحط • وهو الذى كشف عن قرار الالهة الى « رجل الطوفان » الذى اختاره من بين الناس وامره ان يصنع الفلك ويأخذ معه اهله وذويه •

واذا كان الاله انكي قد انقذ نسل البشرية من دمار محقق فانه يشخص في قصة الطوفان وفي قصة الخليقة البابلية بدور الاله الخالق للانسان • فنحن نقرأ في الرقيم الاول من قصة الطوفان البابلية (اتراخاسيس) وفي الرقيم السابع من قصة الخليقة البابلية ان اصوات الالهة قد تعالت مطالبة بخلق بديل يحمل عن الالهة مشقة العناء والعمل من اجل اعمار الارض ، وان الالهة لاذت بالاله انكي لتدبير الامر وانه توصل بحكمته ودهائه الى خلق الانسان من الطين الممزوج بدم ولحم احد الالهة •

يقودنا الحديث عن خلق الانسان الى الالهة ننتو (Nintu) « سيدة النسل » التي كان

لها دور بارز في مسألة خلق الانسان ايضا • فـــاذا كان الفضل في تصور طريقة الخلق يرجع الى الـه الحكمة أيـا فان الالهة ننتو هي قامت بانجاز عملية الخلق التى تعتبر واحدة من ابرز المسائل التي عنـي بها المفكرون الاقدمون • فنحن نقرأ في قصة الطوفان البابلية « اتراخاسيس » كيف ان الالهـة جـاؤا الى ننتو يسألونها ان تخلق لهم انسانا يحمل عنهـم مشقة العمل وانهم قبلوا قدميها خضوعـا واجـلالا ولقبوها « سيدة الالهة جميعا » • كما نقرأ ايضا كيف ان الالهة ننتو اخذت الطين الممزوج بـدم الالـه وبصقت[٢٢] فيه ومن ثم اقتطعت منه اربـع عشـرة قطعة خلقت منها بقوة سحر كلماتها سـبعة مـن وسبعاً من الاناث •

وبالاضافة الى انو وانليل وايا وننتو ، يـرد ذكر عدد من الالهة التي قامت « بادوار » يمكن ان تعتبر ثانوية نذكر منها مثلا الاله نسكو (Nusku) وزير الاله ومساعده وكذلك مجموعة الالهة انوناكي (Anunnaki) الذين لا نعرف عنهم في الحقيقـة الا معلومات نزرة فاحيانا يرد ذكرهم بصفة قضـاة سبعة في العالم السفلى ، وهؤلاء هم الذين صـوبوا نظراتهم القاتلة الى الالهة انانا (عشتار) عند نزولها الى العالم السفلي فأحالوها الى جثـة هامـدة[٢٣] • ونقرأ في قصة الخليقة البابلية ان الاله مردوخ قسم انوناكي الى مجموعتين بعد ان اتـم خـلق الكـون وكانت كل منها تتكون من ثلثمائة اله وانه جعـل مجموعة في السماء ومجموعة في العالم السفلي[٢٤] • وعلى اية حال فانهم يذكرون هنا في قصة الطوفـان البابلية « اتراخاسيس » بانهم كانوا سـبعة من الالهة العظام وانهم جعلوا الهة اخرى (اطلق عليها الاقدمون اسم ايكيكي Igigi تنوء بمشقة العمل لاعمار الارض وفلاحتها •

واذا تعددت اسماء الالهة البارزة منها وغـير البارزة في قصص الطوفان في وادي الرافدين فانـه لا يشخص في كل قصة من هذه القصص سـوى انسان واحد واننا في كل الحالات نواجه هذا الانسان وهو يتلقى الامر الالهي من الـه الحكمة ايا (Ea) بوجوب الاسراع في بناء السفينة وانقاذ ما يمكـن انقاذه من الناس وانه يقوم بالفعل بتنفيذ الاوامـر الالهية ويجازى في النهاية بالحصول على الخلود •

ويختلف اسم هذا الانسان الذى نحن بصدده الان من قصة الى اخرى حسب الترتيب التالي :ـ

ولعم الاله ان تبعث فيـه قوة لعلها الروح علـى الارجـح •

(٢٢) ما زال هناك اعتقاد سائد حتى يومنا هذا بوجود قوى خفية تكمن في بصاق الانسان وانـه بالامكان ان تؤثر تلك القوى في انسان آخر • فمثـلا نسمع عن درويش معين انه يستطيع تعليم « الطريقة » بالبصق في فم الراغب في ممارستها او انه يشفي المرض بالبصق في او على العضو المصاب • ولذلـك فـان الغرض من بصق الهة النسل في الطين الممزوج بـدم

(٢٣) Kramer, "Inanna's Descent to the Nether world', ANET (Third ed, 1969), p. 54.

(٢٤) Heidel, The Babyloian Genesis (Phoenix Books), p. 47.

١ ـ في النسخة السومرية يسمى بطل قصة الطوفان زيوسدرا (Ziusudra) [٢٥] وقد ذكره المؤرخ البابلي بيروسيس بنفس الصيغة تقريبا "Xisouthros" وخصص له فترة حكم خيالية قدرها ٦٤٠٠٠ سنة • ومما تجدر الاشارة اليه ان قصة الطوفان السومرية تلقبه صراحة بلقب الملك • ولكن مما يثير التساؤل عدم ذكر اسمه في النسخة الرئيسية من قائمة الملوك السومرية (W-B 444) حيث كان من المتوقع ان يأتي اسمه بعد اوبار ـ توتو (Ubar-tutu) اخر الملوك الذين حكموا قبل الطوفان • وعلى اية حال فان نسخة اخرى من قائمة الملوك (W-B 62) تخصص لزيوسدرا فترة حكم مقدارها ٣٦٠٠٠ وتنص على ان « زيوسدرا ابن شروباك » "Ziusudra the son of shuruppak" [٢٦] علما بان شروباك هذا يذكر بانه ابن اوبار ـ توتو الذي بذكره بيروسيس بشكل اوتيارتس (otiatres).

وكان الاعتقاد السائد الى فترة قريبة جدا ان كلمة «ابن» في التعبير «زيوسدرا ابن شروباك» لا تدل هنا على علاقة نسب بين ابن وابيه وانما يراد منها الاشارة الى ان زيوسدرا كان من « اهالي مدينة شروباك » The man/of Shuruppak وهي المدينة التي تدور فيها احداث قصة الطوفان • غير ان احد النصوص السومرية القديمة (Archaic في حدود ٢٥٠٠ ق٠م٠) التي نشرت في عام ١٩٦٦ يذكر صراحة رجلا بأسم زيوسدرا وهو يسدي الموعظة الى ولده [٢٧] •

ان النص الاخير هذا يعزز القيمة التاريخية لنص ادبي كان معروفا منذ فترة طويلة من الزمن ويعود تاريخه الى زمن تدوين قائمة الملوك السومرية تقريبا (في حدود ١٨٠٠ ق٠م٠) حيث نقرأ فيه ايضا عن رجل اسمه شروباك وهو يقدم الموعظة الى ابنه :ـ

« كان شروباك يقدم الموعظة الى ابنه
كان شروباك ابن اوبار ـ توتو
يقدم الموعظة الى ابنه زيوسدرا...»

كل هذا يشير الى ان زيوسدرا بطل قصة الطوفان السومرية كان بموجب احدى الروايات السومرية ابنا لشخص اسمه شروباك وان الاسم الاخير (شروباك) لا يقصد منه هنا الدلالة على المدينة المعروفة اطلالها الان بمدينة « فارة » (شروباك) •

ومن جهة اخرى فان هناك رقيما اخر يغفل كليا ذكر شروباك بينما يذكر زيوسدرا

---

(٢٥) يتكون الاسم من ثلاثة مقاطع سومرية Zi بمعنى « الحياة » و U4 « يوم » ، Sud « أطال او اطال » • ولذلك فالارجح ان اسمه يعني الذي جعل الحياة طويلة « كتابة بالطبع عن خلوده » انظر : Poebel, PBS IV/I, P. 48 ff.

(٢٦) انظر حول ذلك ملاحظات الاستاذ Jacobsen : The Sumerian King List, P. 75-76 n. 32, 34.

(٢٧) ما زالت قراءة اسم الابن غير معروفة حيث انه يكتب بالعلامتين (UR - Ash) انظر : Civil and Biggs, Notes sur des, Textes Sumeriens Archaiques, RA LX (1966), p. 1-5.

بعد اوبار ـ توتو باعتباره ابناً لهذا الملك(٢٨). وبالاضافة الى ذلك فان المآثر البابلية قد جعلت ايضا من اوتنابشتم (اي زيوسدرا السومري) ابنا لاوبار ـ توتو • ان هاتين الروايتين الاخيرتين تتفقان كليا مع مجرى الاحداث في قصة الطوفان والتي تستلزم كون بطل زيوسدرا آخر ملك تسلم الحكم قبل الطوفان مباشرة • كما انها تتفق مع رواية بيروسيس الذي جعل Xisouthros (زيوسدرا) الخليفة المباشر للملك otiartes (اوبار ـ توتو) واخر ملك في سلسلة ملوك ما قبل الطوفان •

٢ ـ في قصة الطوفان البابلية التي وصلت الينا نسخة منها بخط الناسخ كو ـ ايا الذى جئنا على ذكره قبل قليل يسمى بطل القصة اتراخاسيس (Atrahasis) (٣٠) بمعنى « الواسع في الحكمة » • ولا يخفى ان مثل هذه التسمية انما قصد منها ان تكون مطابقة لصفات بطل الطوفان كما وردت في القصة البابلية وحتى السومرية ايضا • فهو يوصف بكونه رجلا تقياً استمع الى وحي اله الحكمة ايا وادرك مغزاه بقرب حلول الطوفان وانه نفذ اوامر هذا الاله وبنى سفينة النجاة • ومن الجدير بالذكر ان اللفظ « اتراخاسيس » قد استخدم ايضا بمثابة نعت لاوتنابشتم بطل قصة الطوفان في ملحمة كلكامش والذي سنأتي على ذكره في الفقرة التالية •

ومن الواضح ان اتراخاسيس في القصة البابلية او اوتنابشتم في ملحمة كلكامش عبارة عن مجرد بديل لزيوسدرا السومري • ولنا ان نفترض على هذا الاساس ان اتراخاسيس كان هو الاخر ملكاً على غرار زيوسدرا (الذي ورد عنه في احدى القوائم المسمارية انه حكم ٣٦٠٠٠ سنة والذي خصص له المؤرخ بيروسيس ٦٤٨٠٠ سنة)(٣١) •

اما بالنسبة الى اتراخاسيس فليس هناك في قصة الطوفان البابلية ما يشير صراحة الى انه قد عمر او حكم فترة معينة من الزمن • ولكننا نجد في هذه القصة ان هناك فترة زمنية طولها ١٢٠٠ سنة تتعاقب (اربع مرات على الارجح) ، بعد خلق الانسان وتكاثره وبعد كل الكوارث الثلاث التي انزلها انليل على

---

(٢٨) Jacobsen, The Sumerian King list, p. 76, n. 34.

(٢٩) انظر السطر الثالث من الرقيم التاسع من ملحمة كلكامش : ANEt (third ed.), p. 88.

(٣٠) يتكون هذا الاسم البابلي من مقطعين atra بمعنى « كثير ، ازئد » (من الفعل ataru كثر ، زاد) و hasis بمعنى « الحس والفهم والحكمة » (من الفعل hasasu احس ، اصغى ، فهم) وبتعبير آخر فان المقصود من الاسم الدلالة على سعة الفهم والحكمة ولذلك فان ترجمته الى « الواسع في الحكمة » ربما تكون اقرب الى مدلول الاسم في البابلية •

(٣١) انظر على سبيل المثال ما يذكر عن اتراخاسيس انه كان يجمع شيوخ المدينة عندبوابته وهي سلطة لا يمارسها بالطبع سوى الملوك (النص رقم ٢ الرقيم الاول /الاسطر ٣٨ ـ ٣٨٨ من الملحق لهذا البحث) •

الارض وهي الوباء والجفاف والطوفان • وبذلك فان مجموع هذه الفترات اى ٤٨٠٠ سنة ربما يمثل في نظر الاستاذ لمبرت[٣٢] فترة حكم « الملك « اتراخاسيس بطل قصة الطوفان البابلية • ولكن من الواضح ان هذا الرقم ، كما بيّن الاستاذ لمبرت ، ويخالف ما خصص لنظيره السومري زيوسدرا سواء في احدى القوائم السومرية (٣٦٠٠٠ سنة) ام في كتابات المؤرخ بيروسيس (٦٤٠٠٠ سنة) •

٣ ـ اما في قصة الطوفان كما وردت في الرقيم الحادي عشر من ملحمة كلكامش فان رجل الطوفان يدعى اوتنابشتم (Utnapishtim). وهذا الاسم البابلي يتكون من الفعل «وجدت» (من الجذر atu وجد) ثم napishtim بمعنى « النفس ، الحياة » ، ولذلك يكون معنى الاسم « لقد وجدت الحياة » كناية بالطبع عن حصوله على الحياة الابدية • ومن الجدير بالذكر ان الاقدمين انفسهم طابقوا بين اوتنابشتم « لقد وجدت الحياة » في ملحمة كلكامش وبين زيوسدرا « الذي جعل الحياة طويلة » في قصة الطوفان السومرية حيث وردت الصيغة السومرية zi-sud-da (?) مرادفة للصيغة البابلية ut-napish-te في النصوص المسمارية[٣٣] •

واضافة الى هذا فقد ورد في الرقيم التاسع من ملحمة كلكامش ان اوتنابشتم كان ابنا للملك اوبار ـ توتو من سلالة شروباك وهذا ينطبق ايضا على زيوسدرا الذى تجعله احدى الروايات السومرية خليفة مباشرا لهذا الملك باعتباره ابناً له[٣٤] •

يتبين في قصة الطوفان البابلية « اتراخاسيس » ان الطوفان كان واحداً من اجراءات متعددة لجأ اليها الاله انليل بقصد الانتقام من البشرية • وخلافا للقصة السومرية عن الطوفان والتفاصيل الواردة في ملحمة كلكامش فان قصة الطوفان البابلية « اتراخاسيس » تتميز بكونها تستقصي المسببات التي ادت في النهاية الى احداث الطوفان من جذورها البعيدة والتي ترجع ، كما سنرى ذلك ، الى زمن يسبق خلق الانسان •

يمكننا القول بصورة عامة على ضوء اساطير الخلق السومرية والبابلية ان القدماء في وادى الرافدين تصوروا ان المياه الازلية كانت اصل الوجود • فهي كانت تتكون حسب اعتقادهم من عنصرين اولهما مذكر ويسمى ابسو (Apsu) ويمثل المياه العذبة والثاني مؤنث تيامة (Tiamat) ويمثل المياه المالحة • ونتيجة لامتزاجهما ولد اول جيل من الالهة المتمثل في لخمو (Lahmu) ولخامو (Lahamu) ثم انشار (Anshar) وكيشار (Kishar).

---

(٣٢) حول المزيد من التفاصيل انظر :
Lambert, Atrahasis, p. 20-21.

(٣٣) Thompson, The Epic of Gilgamesh, p. 83, tablet IX, col. I, 6.

(٣٤) انظر الفقرة (٢) الخاصة بـ « زيوسدرا »

وتذكر قصة الطوفان البابلية الموسومة « اينومااليلش » Enuma Elish « عندما كان في العلى » ان هذه الاجيال من الالهة الجديدة اخذت تزعج بصخبها وضجيجها المتواصلين اباهم ابسو وزوجته تيامة • وبسبب ذلك فقد صمم ابسو على القضاء عليهم وانه بدأ بتبادل الرأى مع وزيره مومو (Mummu) ومع زوجته تيمة بخصوص ذلك • وعندما سمعت زوجته بما ينوى الاقدام عليه ثارت في وجهه قائلة :ـ

لماذا نقضي على شيء خلقناه نحن بانفسنا ؟
نعم ان سلوكهم مؤلم حقا ولكن علينا ان نعتبره امرا طبيعيا •

اما رأي وزيره مومو فقد كان مخالفا لهذا تماما • اذ حثه على الانتقام منهم قائلا :ـ

اجل يا ابتي اقض على سلوكهم الفوضوى •
وآنذاك سوف ترتاح في النهار •
وتنعم بالنوم في الليل(٣٥) •

وتسمع الالهة الفتية بالمكيدة التي يدبرها لهم ابوهم ابسو • وهنا يبرز الاله ايا الذى جئنا على ذكره سابقاً باعتباره اله الحكمة ومنقذ البشرية من الدمار، فيبتدع بحكمته ودهائه تعويذة ذات قوة خارقة بحيث انها جعلت ابسو يغط في سبات عميق وانذاك انقض عليه ايا وقتله •

بعد ذلك يبدأ صراع مرير بين تيامة التي تعقد العزم على الانتقام لزوجها من قتلته وبين الالهة الحديثة التي انتخبت قائدا لها هو الاله مردوخ • وكانت نتيجة الصراع بموجب قصة الخليقة البابلية مقتل تيامة التي شطر مردوخ جسمها الى شطرين خلق منها السماء والارض وعقب ذلك توزيع الالهة في السماء والارض والعالم السفلي واعطاء كل واحد منهم مهمة خاصة به •

★ بعد هذه المقدمة المقتضبة عن خلق الكون على ضوء ما تذكره الاساطير السومرية والبابلية ننتقل الان الى قصة الطوفان البابلية « اتراخاسيس » حيث نجد صورة واضحة وتفاصيل وافية لسلسلة الاحداث التي وقعت في ازمان موغلة في القدم والتي تمخض عنها في النهاية احداث الطوفان على يد الاله انليل •

نقرأ في الرقيم الاول من قصة الطوفان البابلية « اتراخاسيس » ان الالهة تقاسمت المناصب والمسؤوليات فيما بينها بعد ان تم خلق السماء والارض • كما نقرأ ايضا ان فئة من الالهة التي تعرف بأسم ايكيكي (Igigi) قد اوكل اليها مهمة اعمار الارض وفلاحتها وانها لذلك كانت مثقلة دون غيرها بالعناء والتعب :ـ

عندما كانت الالهة مثل البشر
تنوء بمشقة العمل وتعاني من التعب
اجل لقد كان تعب الالهة عظيما (آنذاك)
وكان العمل شاقا والعناء كبيرا
وكان انوناكي (Anunnaki) الالهة السبعة العظام •
قد جعلوا الالهة ايكيكي (Igigi) تنوء بمشقة العمل
وكان آنو (Anu) ابوهم هو الملك
وكان مشيرهم المحارب انليل (Enlil)
وكان حاجبهم ننورتا (Ninurta)
وعمدتهم انوكي (Ennugi) (٣٦)

---

(٣٥) Heidel, The Babylonian Genen's, p. 19.

(٣٦) النص رقم ٢ / الرقيم الاول / الاسطر ١ ـ ١٠ •

ويظهر من السطر الحادي عشر وما بعده في قصة الطوفان موضوعة البحث ان الالهة اقترعت فيما بينها لتوزيع المزيد من المسؤوليات وكانت النتيجة ان اعتلى انو السماء ونزل ايا ، اله الحكمة ، الى « ابسو » (المحيط السفلى الذى تصوره سكان وادي الرافدين تحت الارض) ، وأُعطي مزلاج البحر وعارضته ، على حد تعبير النص البابلي ، ومعنى ذلك ان السيطرة على مياه العمق كانت بيد الاله ايا الذى يستطيع متى ما شاء منع تلك المياه او اطلاقها . وستكون لهذه النقطة بالذات اهمية خاصة في مجرى الاحداث في قصة الطوفان كما سنرى ذلك فيما بعد . فالاله ايا الذى عرف بتعاطفه مع البشر كان قد سمح للمياه السفلى بالتدفق عندما اشتد الجفاف واشتد القحط في الارض خلافا لاوامر الاله انليل . ولذلك فقد اراد انليل ان يجعل من المياه السفلى مكيدة يردها الى نحر ايا . فطالما ان الاخير سمح للمياه بالتدفق لانقاذ الناس من الجفاف ، فليجعلها اذا تتدفق بغزارة ولكن هذه المرة لتدمر الناس على شكل طوفان هائل . وهذا ما امر به الاله انليل بالفعل .

بعد ذلك تنتقل قصة الطوفان البابلية «اتراخاسيس» الى قضية مهمة كان لها تأثير مباشر على مجرى الامور . فقد اخذت الالهة ايكيكى تشكو وتتذمر من مشقة العمل الذى فرضته عليها الالهة الاخرى والمتمثل في اصلاح واعمار الارض . فبعدما يزيد على اربعين سنة من العمل المرهق ليلا ونهارا قرر ايكيكي ان يعلنوا العصيان ويذهبوا للاحاطة بمسكن مشيرهم الاله انليل ومفاوضته من اجل ان يريحهم من العناء الذى كانوا يكابدونه . ويجد القارىء هنا في تمرد الالهة صورة فريدة وحية لانها تعكس في الواقع حقيقة شهدتها المجتمعات البشرية في العصور القديمة والحديثة على حد سواء استبداد سيد الارض وثورة الاتباع في نهاية المطاف. ويبدو من السطر السابع والاربعين من الرقيم الاول من قصة الطوفان موضوعة البحث ان أحد الالهة (اسمه مفقود) كان يتزعم « اخوته الالهة » وانه كان يثير في نفوسهم الحماس وهم في الطريق الى بيت الاله انليل الى حد انهم قرروا ان يثيروا الفزع في نفس مشيرهم وان يعلنوها حربا شعواء عليه . واخيرا فانهم اضرموا النار في « مساحيهم » وادواتهم وحملوها مشتعلة الى باب الاله . ان اشعال النار يضفي مسحة خاصة على الصورة باجمعها اذا ماعرفنا بان وقت الهجوم كان ليلا . يقول الكاتب البابلي عن ذلك :ـ

وعندما حان منتصف الليل
احاطوا بالمعبد ، ولم يكن انليل يعرف بذلك
اجل لقد احاطوا بـ « اي كور » (Ekur) (٣٧)
ولكن عندما رآهم كلكل (Kalkai) (٣٨)
اصابه الذعر فزلج الباب واخذ يراقب
ثم ايقظ كلكل الاله نسكو Nusku (٣٩)
واخذا يصغيان الى الضجيج والـ .....
ثم ايقظ نسكو سيده
وجعله يخرج من فراشه (وقال له) :
يا سيدي ان معبدك محاصر
ان الحرب قد وصلت الى بوابتك
يا انليل ان معبدك محاصر
ان الحرب قد وصلت الى بوابتك

---

(٣٧) اسم معبد الاله انليل ومركز عبادته في مدينة نفر .

(٣٨) الاله الخفير في المعبد .

(٣٩) وزير للاله انليل .

ويبدو ان الذعر قد اصاب الاله انليل بالفعل اذ انه طلب من وزيره نسكو ان يسد الابواب وان يأخذ سلاحه ويقف امامه (انليل) • وهنا يلتفت نسكو الى سيده المذعور ويطمئنه قائلا « ان هؤلاء ابناؤك » وليس هناك ما يدعو الى الخوف منهم •

وفي الحال يطلب الاله انليل حضور كبار الالهة مثل انو اله السماء وايا اله الحكمة وانوناكي الالهة السبعة العظام • ويظهر من حديث انليل مع هؤلاء انه كان يساوره الشك في ان بعضا منهم كانوراء حركةالتمرد للالهةايكيكيالذين كانواوقتها يحاصرون بيته • وبالفعل خرج الوزير نسكو الى الالهة المتمردة مستفسرا منهم عمن حرضهم على التمرد • غير ان الالهة ايكيكي كانت تدرك مايجول في ذهن الوزير وهو تحميل احد الالهة مسؤولية حركة التمرد ليجعل منه كبش فداء ودرسا قاسيا لبقية الالهة المتمردة • ولذلك كان رد الالهة الثائرة حازماً وبالتضامن كما يلي[٤٠] :ـ

ان كل واحد منا نحن الالهة مصمم على ان يخوض المعركة
لقد قتلنا العمل الشاق
اجل ان عملنا صعب وعناءنا كبير

ولما رجع الوزير نسكو الى الالهة في مجلسها اخبرها بما دار بينه وبين الالهة المتمردة ايكيكي • ووقف الالهة العظام في النهاية الى جانب الالهة المتمردة وايدت للاله انليل بان « عملهم شاق حقا وان اصوات بكائهم كانت تسمع من بعيد » • فرق قلب انليل وسالت الدموع على وجهه اشفاقا عليهم•

ولكن كيف يمكن للآلهة العظام وعلى رأسهم انليل ان يريحوا اخوانهم الالهة ايكيكي من عناء وشقاء العمل في الارض •

★ هنا تنتقل قصة الطوفان البابلية «اتراخاسيس» الى موضوع في غاية الاهمية الا وهو خلق بديل « يحمل النير ويحمل العناء » عن الآلهة • وقد كتب لهذا المخلوق الا يكون غير الانسان •

في الحقيقة لم تكن قصة الطوفان البابلية المصدر الوحيد الذى تناول موضوع خلق الانسان اذ ان هناك عددا من التآليف السومرية والبابلية التي تطرقت الى الموضوع كلا او جزءً • نذكر من تلك التآليف على سبيل المثال الاسطورة السومرية[٤١] الخاصة بخلقالانسان علىيد الالهة تنماخ(Ninmah) « السيدة العظيمة » والاله انكي وكذلك الاسطورة السومرية المعروفة بـ « لخار واشنان »[٤٢] (Lahar & Ashnan) • اما بالنسبة الى المؤلفات البابلية ذات العلاقة بخلق الانسان فلا شك في ان الرقيم السادس من قصة الخليقة البابلية[٤٣] يعتبر على جانب كبير من الاهمية بهذا الشأن •

---

(٤٠) النص رقم ٢ / الرقيم الاول / الاسطر ١٤٦ ـ ١٥٠ •

(٤١) حول الاساطير السومرية الخاصة بخلق الانسان يراجع :
Kramer, Sumerian Mythology (Harper torchbooks), pp. 68-75; Jacabsen, Before Philosophy (Apelisan Book), pp. 175 - 179.

(٤٢) الهة الماشية واخت اشنان الهة الحنطة •

(٤٣) Heidel, The Babylonian Generis, pp. 48 ff, 118 ff.

واذا ما صرفنا النظر في التفاصيل الجزئية فان المآثر السومرية والبابلية تتفق على ثلاث نقاط جوهرية بخصوص خلق الانسان :ـ

اولا ـ ان الانسان خلق من طين[٤٤] •

ثانيا ـ ان خلق الانسان لم يكن غاية في حد ذاته او نتيجة مكملة لبقية مراحل خلق الكون •

ثالثا ـ انه خلق من اجل خدمة الالهة اى من اجل ان يكد ويكدح في سبيل اطعامها وبناء معابدها[٤٥] •

غير ان قصة الطوفان البابلية « اتراخاسيس » تتميز عن غيرها من المراجع المسمارية ذات العلاقة بخلق الانسان بانها تحتوى على تفاصيل وافية عن عملية الخلق لا يجدها الباحث في اى من المؤلفات السومرية والبابلية الاخرى • فنحن نقرأ في منتصف الرقيم الاول من هذه القصة ان الالهة العظام آنو وانليل وايا كانوا مجتمعين ليتدبروا الامر بشأن التمرد الذى قامت به الالهة ايكيكي • وبعد الاخذ والرد طلب ايا[٤٦] اله الحكمة من الالهة الاخرى ان تبعث في طلب الهة النسل ننتو (Nintu) لتخلق الانسان الذي عبر عنه النص البابلي بكلمة لوللو (Lullu)[٤٧] •

ومن المعروف عن هذه الالهة انها كانت مسؤولة عن امور الخلق والولادة ولذلك فانها كانت تلقب بالقاب متعددة لها علاقة بهذه الامور مثل « الهة النسل » و « مولدة الالهة » و «سيدة الولادة» (في السومرية ننتو) كما كانت تلقب ايضا بـ «بيلت ـ ايلي » Belit Ili (سيدة الالهة) واحيانا بـ « مامي » (Mami) او « ماما الحكيمة » :ـ

« وعندما حضرت الالهة بيلت ـ ايلي خاطبها الالهة العظام قائلين :

انت يا الهة النسل ، القادرة على خلق البشر ،
اخلق لوللو (Lullu) من اجل ان يحمل النير
ليحمل النير الذى فرضه انليل
ليحمل الانسان عناء الالهة »

وتجيبهم الالهة بيلت ـ ايلي بانه ليس في مقدورها ان تفعل شيئا لوحدها وان المقدرة بيد اله

---

(٤٤) قارن ذلك بما جاء في التوراة / سفر التكوين ٢ : ٧ : « وجلب الاله آدم تراباً من الارض، ونفخ في انفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية » •

(٤٥) اما بالنسبة للعبرانيين فقد كان الهدف من خلق الانسان ،كما جاء في التوراة ،ان يسود الانسان في الارض على كل ما خلق الخالق : وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا • فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى الارض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الارض » • (التكوين ١ : ٦) •

(٤٦) نلفت الانتباه الى ان قصة الطوفان البابلية « اتراخاسيس » التي هي بخط الناسخ كو ـ ايا تذكر الاسم بصيغته السومرية « انكي » بدلا من الصيغة البابلية « ايا » التي تذكرها بقية الرقم البابلية من هذه القصة •

(٤٧) ان الكلمة (Lullu) مستعارة من السومرية lu-u-lu والتي تعني حرفيا الانسان السحيق او البعيد « اي » الانسان الاول » ، وهي بذلك ذات مدلول خاص • بينما تدل الكلمة السومرية lu ومرادفتها الاكدية awelu على الانسان او البشر بالمعنى الاعتيادي •

الحكمة ايا الذي كان بحوزتـه الطـين الطاهـر او المقدس الواجب توفره لخلق الانسان • ويوافـق الاله ايـا على تقديم الطين المطلوب • ولكن يظهـر (من الاسطر ٢٠١ وما بعدها) ان الامر كان يتطلب من الاله ايا ان ينجز طقوسا معينة تتضمن الاغتسال والغطس المقدسـين وفـي ايـام معينـة مـن الشهر (الاول والحادي عشر والخامس عشر) •

وتذكر قصة الطوفان البابلية ان الالـه ايـا انتهى بالفعل من اقامة الطقـوس في مواعيدهـا [٤٨] وانه بعد ذلـك جيىء بالالـه وى ـ ايـلا (We-ila) [٤٩] « الذى كانت لـه شخصية»[٥٠] وذبح امام الالهة و « مع لحمه ودمه مزجت الالهة نتو الطين » • ويرد في المقطع الذى نحن بصدده الآن الاشارة الى استماع الالهة الى قرع الطبل لفترة من الزمن يلي ذلك مباشرة ظهور الروح في الطين الممزوج • ولهذا يبدو ان قرع الطبل كان جـزءً من الطقوس الخاصة بالخلق وان كان مدلوله غـير واضح • وفيما يلي نص المقطع :

وذبحوا في مجلسهم وى ـ ايلا الذى كانت له شخصية
ومع لحمه ودمه
مزجت نتو الطين
ثم استمعوا الى الطبل لما تبقى من الوقـت
فكانت روح من لحم الاله
ونودي (بالانسان) الحي رمزا لها

وعلى اية حال فان عملية الخلق ما زالت في بدايتها على ما يظهر اذ ان الالهة نتو استمرت فـي « مزج ذلك الطين » ثم انها استدعت الالهة العظـام انوناكي وايكيكي • والاخيرة هي التي تمردت بسبب معاناتها من العمل في الارض • وبحضور هـؤلاء مزجت نتو ذلك الطين ثم بصقت[٥١] عليه وقـالت مخاطبة الالهـة :

لقد عهدتم لي عملا فاكملته
بعد ان ذبحتم الها مع شخصيته
اني رفعت عنكم اعمالكم الشاقة
وفرضت عناءكم على الانسان
وكنتم قد رفعتـم اصواتكـم من اجـل خلـق الانسان
فها انا قد حللت النير واقمت الحرية

---

(٤٨) النص رقم ٢ / الرقيم الاول / الاسطر ٢٤٠ ـ ٢٤٢ من الملحق •

(٤٩) النص رقـم (٢) / الرقيـم الاول / الاسطر ٢٢٣ ـ ٢٢٦ • واحيانا يكتب اسمه بشكل وى (We) فتط ، اما مدلول الاسم فانه غير واضح • ولا يخفى ان الاله وى ـ ايلاني قصـة اتراخاسيس نظير للاله كنكو (Kingu) في قصة الخليقـة البابلية التي اشرنا اليها قبل قليل • فالاله الاخير حكم عليه بالموت بعد ان شهدت ضده الالهة ايكيكي بكونه قائدا لقوات تيامـة المعاديـة ، ومن ثم ذبـح من اجل ان يخلق الانسان من دمه • ونود ان نلفت الانتباه الى ان ذكر الالهة ايكيكي في هذا الموضـع من قصة الطوفان البابليـة يتناسـب والموقف عامـة خلافا لرأى الاستاذ Haidel (انظر : ((The Babylonian Genesis, p. 47, n. 115. الذي توقع على ما يبدو ان يرد اسم آلهة انونانكي بدلا منهم • فلا يخفى ان ذبح الاله كنكـو وخلـق الانسان من دمه سوف يريح الالهة ايكيكي بالذات من مشقة العمل وليس الالهة انوناكي •

(٥٠) في الواقع ان الكلمة الاكدية temu تعني هنا الارادة والعزم
(will of power, strength of will or mind), Bezold, Babylonisch-Assyrisch Glossar, p. 130.

(٥١) انظر الحاشية ٢٢ •

وتملك الالهة فرح شديد وحماس عظيم لقرب خلاصهم وتحررهم من النير الذي فرضه عليهم الاله الانليـــل :ـ

ولما سمعوا كلامها
تراكضوا اليها وقبلوا قدميها (قائلين) :
لقد كنا نسميك في السابق مامي (Mamu') (٥٢)
اما الان فليكن اسمك (سيدة كل الالهـة)

ومع ذلك فيدو ان الالهة لم تنته بعد من خلق الانسان • فالامر يستلزم كما سنرى مزيـدا مـن الطقوس • فنحن نقرأ(٥٣) ان الالهة دخلت بعـد ذلك الى « بيت المصير » • وكان من جملة من دخل الالهة ننتو والاله أيا وعـدد من الهـات النسـل • وانذاك بدأ الاله ايـا « يكبس عـلى »(٥٤) الطـين مجددا من اجل مزجه مع دم ولحم الاله • ثم بدأت الالهة ننتو بقراءة تعويذه بينما جلس الاله ايـا الى جانبها يلقنها من حين لاخر •

انتهت نتو من القراءة مدت يدها الى الطـين الممزوج واقتطعت منه اربع عشرة قطعة ثم وضعت سبع قطع منها على اليمين وسبع على اليسار ثم « القت باللبنة بينهما »(٥٥) ويظهر ان الالهة نتو قد استعانت باربع عشرة الهة من الهات النسل وان هؤلاء صنعن من قطع الطين سبعة اشكال على هيئة ذكور وسـبعة على هيئة اناث(٥٦) • بعد ذلك يأتي مقطع يتضمـن نصائح من الهة النسل نتو بخصـوص الحمـــل والولادة • ثم ينخرم النص وعندمـا ينتظم ثانيـــة نجد ان الالهة نتو وهي تحسب شـهور الحمـل ، وبانقضاء الشهر التاسع « ينفتح الرحم » وتقوم الالهة باجراء عملية التوليد «بوجه مشرف ورأس معصب» على حد تعبير النص • واخيرا :ـ

وشـمرت عن ساعديها وهي تردد التبريكات
وخطت صورة (المولود) بالطحين(٥٧)

---

(٥٢) من القاب الالهة نتو ويكتب احيانـا بشكل (Mama).

(٥٣) ابتداء من السـطر ٢٤٩ من الرقيـم الاول •

(٥٤) الفعل الاكدي kabasu هنا له نفس المدلول في العربية تقريبا ، فهـو يفيـد معنـى الضغط او الشد على الشيء (علمـا بـان الفعـل الاكدي يعني اساسا « داس على ، وطأ ») •

(٥٥) ليس لدينا معلومات عما ترمز اليـه اللبنة (Lebettu في الاكدية) غير ان الاستاذ Lambert (انظر Atrahasis, p. 9) يرجح انها لا تعني هنا لبنة واحـدة وانما تشـير الى بناء (ربما كان دكة) من اللبن ترد الاشارة اليه في النصوص البابلية باعتباره المكان الذي كانـت تتم عليه المرأة ولادتها •

(٥٦) يتضح من هـذا ان البابليين كانـوا يعتقدون بان الرجل والمرأة خلقا من « طينة واحدة » وفي وقت واحد • اما في التوراة فان المسـألة علـى ما يبدو ليست بهذا الوضوح • فمن جهـة نجـد ان هناك ما يماثل الفكرة البابلية الى حد ما في الفقرة التاليـة : « فخلـق الله الانسـان علـى صـورته على صورة الله خلقه ذكـرا وانثـى » (التكويـن ١ : ٢٧) بينما نفهم من قصة آدم في الجنة ان خلق حواء كان متأخرا ومن جسد آدم : « فاوقع الـرب الاله سباتا على آدم فنام • فأخذ واحدة من اضلاعه وملأ مكانها لحما • وبنى الرب الاله الضلع التي اخذها من آدم امرأة واحضرها الى ادم • » (التكوين ٢ : ـ ٢٢) •

(٥٧) على الرغم من ان المغزى غير واضح تماما الا ان رسم صورة لشيء ما (او رسم دائرة علـى وجه الخصوص حول شيء معين) بمادة طحين الحبوب كان سيؤدى حسب اعتقـاد العراقيـين القدمـاء الى اخضاعه الى مفعول السحر • حول مزيد من الاشارات عن هذا الموضوع في النصوص المسمارية انظـر :
CAD, Vol. 21, Zisurru, p. 137-38,
Vol. 4, eseru, pp. 346 ff.

ووضعت (عندها) اللبنة
(ثم قالت بلهفة) : لقد خلقته ، لقد صنعته يداي

ننتقل الان من تفاصيل خلق الانسان الى الاحداث التي سبقت الطوفان مباشرة والتي تشغل الجزء الاخير من الرقيم الاول ومعظم الرقيم الثاني من قصة اتراخاسيس • ويمهد المؤلف البابلي لتلك الاحداث فيقول :

ولم تمض بعد الف ومئتا سنة
حتى توسعت البلاد وتكاثر الناس
واصبحت البلاد تغور مثل الثور
فانزعج الاله (انليل) من ضجيجهم
أجل لقد سمع أنليل ضجيجهم
فقال مخاطبا الالهة العظام :
لقد اصبح صخب البشر شديدا علي
وقد حرمني ضجيجهم من النوم
فالتامر بالوباء ينتشر بين الناس

يتضح جليا من هذا المقطع ان الاله انليل ، وهو الذى تمردت عليه الالهة ايكيكي عندما فرض عليها الاعمال الشاقة ، يعقد العزم الآن للتخلص من الناس بعد ان كثر عددهم وعلا ضجيجهم في الارض في اقل من الفي ومئتي سنة • ولا نشك في اننا الان امام صورة شبيهة بتلك التي رأيناها عند الحديث عن بداية الخلق عندما امتعض ابسو ، ابو الآلهة ، من صخب وضجيج ابنائه الالهة الاخرى فبدأ في وضع الخطة لابادتها •

وبقدر ما يتعلق الامر بالاله انليل فانه اختار اول الامر انزال الامراض والاوبئة على الناس لتفتك بهم وتقضي عليهم • يقول انليل وهو يخاطب الالهة :ـ

ليقضي الاله نمتار(٥٨) (Namtar) علىضجيجهم
ولتفتك بهم كالاعصار : الامراض والاوجاع
والاوبئة والاسكو (asakku)

وتوافق الالهة على طلب انليل :

وامروا بذلك فكانت الاوبئة
(وهكذا) قضي الاله نمتار على صخبهم
وفتكت بهم كالاعصار : الامراض(٥٩)
والاوجاع(٦٠) والاوبئة والاسكو(٦١)

---

(٥٨) اله المصائر والاقدار •

(٥٩) في الواقع ان الكلمة الاكدية marsu لا تعني هنا غير « المرض » بمعناه العام •

(٦٠) على الرغم من ان هذا المرض الذي يعرف في الاكدية باسم di'u ويوصف في النصوص السومرية بلفظ sag - gig « وجع الرأس ، صداع » فانه من غير المستبعد في ضوء الاشارات الواردة عنه في النصوص المسمارية ، ان يكون وباء خطرا وان الصداع كان احد اعراضه ، انظر : CAD, vol. 3, di'u, p. 165 - 166.

(٦١) ان ترجمة الكلمة الاكدية Shurupu بـ « وباء » يتفق والحالات التي وردت في اسطورة الطوفان (انظر الاسطر ٩ ، ١٣ من النص رقم ٣) والتي يفهم منها بان الكلمة قد اريد منها المعنى العام دون وباء معين • اما بخصوص ترجمة هذه الكلمة بـ « البرداء » (اي الحمى المصحوبة بالقشعريرة chills او حتى الملاريا ague).

انظر : CAD, vol. 3, di'u, p. 165

ويراد بكلمة a-zag السومرية والتي استعيرت في الاكدية بشكل asakku نوع من الشياطين او الارواح الخبيثة ، كما استخدم اللفظ نفسه للدلالة على المرض الذي يسببه هذا النوع من الشياطين • انظر مزيدا من التفاصيل في :
CAD, vol. I/2, asakku, pp. 325 ff.

عند هذه النقطة بالذات يبدأ دور اتراخاسيس بطل قصة الطوفان البابلية حيث نلاقي ولاول مرة « الرجل الحكيم اتراخاسيس » وهو يدعو الـــه الحكمة ايـا لان يتدخل فينقذ الناس من الوباء :ـ

يا سيدي ان الناس يئنون
لان مرضك يلتهم البلاد
يا ايا « ايها السيد ، ان الناس يئنون
لان الامراض (التي انزلتها) الالهة تلتهم البـــلاد
ولما كنت خالقنا
ادعوك ان ترفـع عنا الامـراض والاوجـاع والابئة والاسكو

ومن المعروف عن ايا اله الحكمة انه لا يخيب ظن سائل سواء كان هذا من الالهة ام البشر ، فهو مشهور بين الالهة في وادي الرافدين بحبه لفعـــل الخير ومـد العون في كل وقت • ولذلك فلا غرابة ان يستجيب ايا الى دعوات اتراخاسيس وان يرشده في الوقت نفسه الى الطريقة التي يمكنه بواسـطتها تخليص الناس من البلايا التي يعانون منها • فالاله انليل الذى نقم على الناس لكثرة صخبهم في الارض كان قد عهد الى الاله نمتار مهمـــة ابتـلاء النـاس بالامراض القاتلة • ولذلك فانه من الضرورى ان يستدر الناس عطف هذا الاله الاخير وان يتقربوا اليه بطريقة او باخرى • وكانت وصية الاله ايا الى اتراخاسيس بهذا الشأن ان يجمع شيوخ المدينـــة ليتدبروا امر بناء معبد للاله نمتار وان يبعث المنادين ليأمروا الناس بالعزوف عن تقديس وعبادة الالهـــة الاخرى وتكريس جل اهتمامهم الى الالـه نمتـــار « فيقصدوا بابه » ويقدموا له بسخاء هديـــة مـن « دقيق وارغفة محمصة » وكان الاله ايا متأكدا من ان « الاله نمتار سوف تخجله الهدية فيرفع يده عن الناس » عـلى حـد تعبير النص البابلي • ونفـــذ اتراخاسيس اوامر الاله ايا ، فجمع شيوخ المدينـة واخبرهم بما يتوجب عليهم :

واصغى الشيوخ الى كلماته
فبنوا معبدا للاله نمتار في المدينة
وامروا المنادين فنادوا
وصاحوا عاليا في البلاد
فلم يخشى (الناس) الهتهم
ولم يصلوا الى الهاتم
ولكنهم قصدوا باب الاله نمتار
وجبلوا امامه الارغفه المحمصة
كما كان تقديم الدقيق مسرا له
فاخجلته الهدية ورفع يده
(وهكذا) تركهم الوباء

وهكذا يتخلص الناس من الامراض التـــي ابتلاهم بها الاله انليل • ويتكاثر عددهم في اقـــل من الف ومئتي سنة اخرى ثم يتزايـد صخبهـــم وضجيجهم في الارض على النحو الذي رأيناه فـي المرة السابقة • وتثور ثائرة الالـه انليل فيجمـــع الالهة ليخبرها بان عدد الناس قد تزايد اكثر من ذى قبل وانه لم يعد يعرف طعما للراحة • فقـــرر في هذه المرة احلال الجفاف والمجاعة • ولذلك فقد اصدر اوامره الى ادد اله الرعد بان يحبس مطـره والى ايـا اله العمق ان يمنع تدفق مياهه والى نيسابا الهة الحنطة « ان تمنع فيض ثديها » وان تهب الريح فتلفح وجه الارض وتتلبد الغيوم ولـكن دون ان تنهمر قطرة من المطر •

وتحت وطأة الجوع والقحط لاذ اتراخاسيس بالاله ايـا يسأله العون لانقاذ الناس من الهـلاك •

فارشده الاله الى ان يتبع الوسيلة السابقة نفسها • وبتعبير اخر ان ينبذ الناس عبادة الآلهة الاخرى ويكرسوا اهتمامهم في هذه المرة الى ادد اله الرعد وان يبنوا له معبدا ويقدموا له « الدقيق والارغفة المحمصة » • ويظهر ان الاله ادد « قد اخجلته الهدية » مثل سابقه الاله نمتار فرفع يده عن الناس « وانزل الطل في الصباح والندى خلسة في الليل » فانتجت الحقول الحب خلسة »[٦٢] •

وادرك الاله انليل مرة اخرى ان احد الالهة يفسد عليه خططه ولكنه بدلا من ان ينزل عقابا جديدا على الناس كما كان متوقعا فانه اعاد فرض المجاعة عليهم مجددا ولست سنوات[٦٣] • ويكون من المناسب ان ننتقل مؤقتاً من النسخة البابلية الى النسخة الاشورية من قصة اتراخاسيس حيث يكون النص اكثر تفصيلا للحوادث المؤلمة التي حلت بالناس في كل سنة من سنوات هذه المجاعة :

وحرس الاله ايا مزلاج البحر وعارضته[٦٤]
سوية مع اخشابه
وفي العلى جعل الاله ادد مطره نزرا
وفي الاسفل سدت الانهار واوقف تدفق
الفيضان من « العمق »
وانقصت الحقول غلاتها •
ومنعت الالهة نيسابا فيض ثديها
فاصبحت الحقول السوداء بيضاء
وانتجت الحقول الواسعة ملحا
وتمرد رحم الارض
فلم تنبت البقول ولم تنمو الحبوب
وانزل مرض ـ اسكو (asakku) على الناس
فاصبحت الارحام ضامرة ولم تلد مولودا
وعندما حلت السنة الثانية
اصبحوا يعانون من الحكة
وعندما حلت السنة الثالثة
تشوهت ملامح الناس بفعل الجوع
وعندما حلت السنة الرابعة
اصبحت سيقانهم الطويلة قصيرة
واصبحت اكتافهم الواسعة منكمشة
واصبحوا يسيرون محدودبين في الشوارع
وعندما حلت السنة الخامسة
اصبحت الابنة تراقب الام وهي تدخل البيت
غير ان الام ما كانت لتفتح بابها الى ابنتها[٦٥]
وكانت الابنة تراقب ميزان الام (عند بيعها)
وكانت الأم تراقب ميزان الابنة (عند بيعها)[٦٦]
وعندما حلت السنة السادسة
اتخذوا من الابنة غذاء لهم
واتخذوا من الابن طعاما لهم
••• لم يشبعوا •••
وغطت وجوههم غشاوة كالنبت المصفر
وكان الناس احياء ولكن على حافة الموت

---

(٦٢) هذا هو تسلسل الحوادث كما جاء في العمود الثاني (الرقيم الثاني) من النسخة البابلية لقصة اتراخاسيس (انظر الحاشية اللاحقة) •

(٦٣) ان العمود الثالث من الرقيم الثاني من النسخة البابلية مهشم ولا سبيل للتأكد من تفاصيل محتوياته • ولكن عندما ينتظم النص ابتداء من العمود الرابع فان المؤلف البابلي يبدأ الحديث مجددا عن تفاصيل المجاعة التي استمرت ست سنوات • اما النسخة الاشورية من القصة وان كانت غير كاملة في شكلها الحالي فانها تصف المجاعة وكانها قد حلت مرة واحدة ولمدة ست سنوات •

(٦٤) عندما وزعت الالهة الاعمال فيما بينها اسندت مهمة السيطرة على مياه البحر السفلى « العمق » مع مافيه من اعشاب الى ايا اله الحكمه • ولذلك فان « فان مزلاج البحر وعارضته » يرمزان هنا الى مقدرة هذا الاله في اطلاق او منع تلك المياه •

(٦٥) وبتعبير اخر فان المجاعة دفعت الناس الى التخلص من ابنائها وبناتها بتركهم خارج المنازل •

(٦٦) المعنى غامض لهذا السطر والسطر الذي يليه • وربما قصد منه القول المجاعة بلغت حدا بحيث ان البنت كانت تحضر بيع امها طمعا في كمية من الحبوب او المواد الغذائية مما كان يوزن بالميزان وان الام كانت تفعل الشيىء نفسه ايضا • حول هذا السطر بالذات وحول مدلول الكلمة الاكدية Zibanitu « ميزان » انظر CAD, vol. 2, p. 99 - 100.

ويتبين من مجرى الاحداث التي يتضمنها الرقيم الثاني (العمود ٥ـ٨ من النسخة البابلية) وبعض الرقم البابلية والاشورية من قصة « اتراخاسيس » ان الاله استجاب مرة اخرى الى استغاثة اتراخاسيس فسمح على ما يبدو بتدفق المياه في المحيط السفلي لارواء الارض وتخليص الناس من الجفاف • وقد عرض الاله ايا نفسه بسبب ذلك الى سخط وغضب الالهة الاخرى مثل انليل ومجموعة الالهة انوناكي الذين اتهموه بانه « كان يرفع النير ويقيم الحرية ويطلق الرخاء للناس » على الرغم من الاوامر التي صدرت بوجوب « حراسة مزلاج البحر وعارضته » اي سد ابواب البحر السفلي • ورد الاله ايا على اتهام الالهة ، غير ان تفاصيل ذلك غير واضحة تمام الوضوح • فيبدو انه قد برر تدفق المياه من العمق بسبب كسر حدث في مزلاج البحر ، كما انه ذكر وفي سياق غامض ، اعدادا ضخمة من الاسماك واشار الى مقتل حراس البحر •

وكان رد الاله انليل على ذلك ردا حازما وغير متوقع اذ قال وهو يخاطب الالهة في مجلسها :

هيا نؤدي كلنا القسم لاحداث الطوفان
فاقسم الاله انو اولا
ثم اقسم الاله انليل واقسم ابناءه معه

ان لجوء الاله انليل الى الطوفان كوسيلة لاهلاك البشر قد اريد به على ما يبدو وضع الاله ايا في موقف صعب جدا فالاله الاخير كان المسؤول عن مياه المحيط السفلي التي سمح لها بالتدفق خلسة وخلافا لاوامر الالهة • ولذلك فان احداث الطوفان سوف يوجب على ايا ان يرفع « مزلاج البحر وعارضته » اي ان يطلق مياه المحيط السفلي ولكن لتهلك الناس على شكل طوفان مدمر في هذه المرة• ولذلك كانت دهشة ايا عظيمة مما دعا اليه انليل، فرفض بشدة ان يربط نفسه باداء القسم مع الالهة الاخرى :

ففتح انكي (ايا) فاه
وقال مخاطبا اخوته الالهة :
لماذا تريدون ربطي بقسم ..... ؟
وكيف يمكن ان انال شعبي بسوء بيدي هاتين ؟
فالطوفان الذي تأمرني به
ما هو ؟ اني لا اعرفه
وكيف يمكن ان آتي انا بالطوفان
وذلك من شان الاله انليل ؟
فليختر هو .....
وليسر شولات (Shullat) وخانش (Hanish) في المقدمة(٦٧)
وليقتلع ايراكال (Errakal) (٦٨) اوتار المرسى
وليذهب ننورتا ويجعل السدود تفيض

★ رأينا قبل قليل كيف ان الالهة اجمعت بتحريض من انليل على احداث الطوفان وكيف ان ايا كان الاله الوحيد الذي عارض القرار بشدة • ولا يخفى ان الطوفان اذا ما نفذ حسب الخطة الموضوعة له فانه سيكون من اخطر الاسلحة التي استحدثتها الالهة ضد البشرية • فاذا كان الغرض من انزال الوباء والقحط على الناس من قبيل انقاص عددهم بالدرجة الاولى حيث جاء ذكر ذلك صراحة في قصة اتراخاسيس[٦٩] وفي الرقيم الخاص بالطوفان

---

(٦٧) الهان تذيران بدنو الطوفان •
(٦٨) تسمية اخرى لـ « تركال » اله العالم السفلي •
(٦٩) النص رقم ٢ ب / القنا / العمود الرابع / السطر ٣٩ •

من ملحمة كلكامش[٧٠] ، فان ارسال الطوفان كان مخططا له ان يأتي على البشرية برمتها[٧١] • ونظرا لخطورة الموقف فاننا نجد ان الاله ايا هو الذي يأخذ بزمام المبادرة في هذه المرة فيحذر اتراخاسيس من الخطر المحدق الذي يهدد البشرية ويحثه على الاسراع في بناء سفينة النجاة في حين كان اتراخاسيس هو الذي يهرع في كل ازمة من الازمات السابقة لطلب النجدة من الاله ايا •

وقد يتساءل القارىء فيقول كيف يجيز هذا الاله لنفسه الحق في افشاء اسرار الالهة • في الواقع ان مثل هذا السؤال بالذات قد اورده المؤلف البابلي على لسان بعض الالهة وفي مقدمتهم انليل • وكانت اجابة ايا عليه لم يفش سرا قط ، وان كل ما فعله انه جعل أتراخاسيس يرى حلما[٧٢] وان الاخير ادرك من خلاله ماتنوى الالهة القيام به • والحقيقة ان اتراخاسيس ، بموجب قصة الطوفان البابلية، لم يدرك

---

(٧٠) النص رقم ٣ / الاسطر ١٨٢ ـ ١٨٥ •

(٧١) يتضح من التوراة ان غضب الرب على الناس ايضا سبب في ارسال الطوفان عليهم على غرار ما رأينا في قصة الطوفان • كما ان الطوفان في التوراة هو الاخر قد جاء ليمحو كل مخلوق على وجه الارض : وورأى الرب ان شر الانسان قد كثر في الارض • وتأسف في قلبه • فقال الرب امحو عن وجه الارض الانسان الذي خلقته • الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لاني حزنت اني عملتهم • واما نوح فوجد نعمة في عين الرب » (التكوين ٦ : ٥ ـ ٨) • ١١٠ وكان الطوفان اربعين يوما على الارض • وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الارض • وتعاظمت المياه كثيرا جدا على الارض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء • خمس عشر ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه • فتغطت الجبال • فمات كل ذي جسد كان يدب على الارض، من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التي كانت تزحف على الارض وجميع الناس • كل ما في انفه نسمة روح حياة من كل اليابسة مات فمحا الله كل قائم كان على وجه الارض • الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء فانمحت من الارض وبقي نوح والذين معه في الفلك فقط • وتعاظمت المياه على الارض مئة وخمسون يوما (التكوين ٧ : ١٧ ـ ٣٤) •

(٧٢) كان الحلم ايضا في رواية المؤرخ بيروسس الوسيلة التي نقل من خلالها الاله كرونس (واحد من الالهة الاولى وايو الاله زيوس عند الاغريق) خبر الطوفان الى رجل الطوفان Xisuthros (زيوسدرا في قصة الطوفان السومرية) ومن المعروف ان سكان وادى الرافدين اهتموا وبشكل واضح بالاحلام وبتفسيرها لانهم اعتقدوا ، مثل غيرهم من الشعوب ، بانها من الوسائل الفعالة التي يمكن للمرء من خلالها معرفة ما يخبئه المستقبل • وقد الف الاقدمون في وادى الرافدين قوائم بنماذج مختلفة من الاحلام واستنبطوا فألا من كل واحد منها) انظر :

Oppenheim, The Interpretation of Dreams in the Ancient Near East, Philadelphia, (1956)

وقد عرفت الالهة نانشة (Nanshe) التي كانت تعبد في مدينة لكش ، بكونها الالهة المتخصصة بتفسير الاحلام • وكان في المعبد البابلي كاهن يعرف بلقب شاعيلو (Shailu) من اعماله الرئيسية تفسير الاحلام • ومن جهة اخرى كانت الاحلام من الوسائل الرئيسة التي يمكن للالهة عن طريقها ايصال اوامرها والكشف عن رغباتها الى ممثليها في الارض من حكام وامراء وملوك • ولدينا امثلة كثيرة ومن العصور التاريخية المختلفة تتحدث عن انجازات عمرانية ودينية وعسكرية ادعى منجزوها من الامراء والملوك بانها كانت استجابة لاوامر الهية تلقوها من خلال الاحلام • ولعل من اقدم وابرز الامثلة التي وصلتنا لحد الان ما ذكره الامير السومري كوديا Gudea في حدود ٢١٢٠ ق • م) من تفاصيل وافية عن حلمين تلقى من خلاله اوامر ننكرسو (Ningirsu) اله مدينة لكش ، بضرورة بناء معبده المعروف اى ـ ننو (Eninnu) « معبد الشمس » (حول مزيد من التفاصيل عن هذا الحلم :

Falkenstein, Sumerisch Und Akkadische : Hymnen. Gebete, Zurich, (1953), pp. 141 ff)

فعلا مغزى رؤياه فالتجأ الى الاله ايا يسأله مزيدا من التوضيح • ومن الطريف ذكره ان ايا ، وهو الـه الحكمة « ذو العين اللامعة »(٧٣) ، كمـا يسـميه العراقيون القدماء ، كان حذرا من ان يتهم بافشـاء الاسرار الالهية ولذلك فقد راح يخاطب الـكوخ ، حيث يقيم اتراخاسيس ، ليشرح له التفاصيل بدلا من ان يخاطب اتراخاسيس بالذات :

ففتح انكـي (ايـا) فـاه
وقال مخاطبا عبده (اتراخاسيس)(٧٤) :
قد قلت « ماذا علّي ان افعل ؟ »
فعليك الانتباه الى الخبر الذي سأقوله لك
يا جدار استمع الي •
يا جدار القصب انتبه الى كلماتي
هدم بيت وابن سفينة
انبذ المال وانقذ النفس

★ بعد هذا التحذير يقـول ايا الى اتراخاسيس بوجوب الاسراع في بنـاء سفينة النجاة التي سنأتي على ذكر تفاصيلها بعد قليل • ويظهر من الحوار بين الاله واتراخاسيس انه كان يتوجب على الاخير كتمان امر الطوفان عن اهل المدينة وان عليه ان يبرر قيامه ببناء السفينة بالحجة التالية :

وتلقى اتراخاسيس الاوامر
فجمع الشـيوخ عند بوابته
ثم فتح اثراخاسيس فاه
وقال مخاطبا الشيوخ :
ان الهي لا يتفق مع الهكم
وان انكي وانليل غضبان كل منهما على الآخر
فابعداني عن •••••
ولما كنت اعبد الاله انكي(٧٥)
فقد اخبرني بهذا الامر
انني لن استطيع العيش في ••• (بعد الآن)
ولن استطيع انأضع (قدمي) فيارض انليل(٧٦)

وزيادة في تمويه الامر على شيوخ واهـل مدينته ، يذكر الاديب البابلي في ملحمة كلكامش ان اوتنا بشتم قال لهم بانه في الوقت الذى يضطر هو ان يرحل من المدينة بسبب بغض انليل له ، فانهـم سينعمون من جانبهم بالخيرات التي سينزلها عليهم هذا الاله : امطار غزيرة وغلال وافرة ، طيور جيدة واسماك نادرة •

ننتقل الآن الى الحديث عن سفينة النجاة التي تلقى رجل الطوفان الامر ببنائها • ان الانطباع الـذي يستخلصه الباحث عن هذه السفينة على ضوء التفاصيل الواردة عنها في ملحمة كلكامش انها بنيت بالخشـب

---

(٧٣) في السـومريـة Ninin-igi-KU كنايـة عن قوة الذكاء والعقل •

(٧٤) هذا ما تنص عليـه قصـة الطوفـان « اثراخاسيس » حيث يظهر جليا ان مخاطبة الكـوخ كانت من قبيل المجاز وقد اريد بها اصلا تفادى ذكـر اسم بطل الطوفان صراحة • ولذلك فان هذا المقطع المقتبس في اعلاه اكثر دقة وانسـجاما من نظـيره في ملحمة كلكامش (النص رقم ٣ / السطر ٢١ ـ ٢٤) الذي استرسل فيه المؤلف البابلي في النداء حتى جاء على ذكر بطل الطوفان « رجل شروباك ابن اوبار ـ توتو » •

(٧٥) كان الفرد في وادى الرافدين يتخذ له الها شخصيا(Personal god) يخصه بالعبادة اضافة الى عبادة الالهة الاخرى • وكان الغرض من ذلـك ان يكون هذا الاله الشخصي شفيعا ووسيطا لصاحبه عند الالهة الكبرى • ولذلك فاننا نجد هنا ان اتراخاسيس يخص ايا العبادة لانه كان الهه الشخصي الذي يلوذ به وقت الازمات انظر بخصوص الاله الشخصي واهميتـه في العقيدة الدينية عند السومريين :
Kramer, The Sumerians, pp. 126- 129,

(٧٦) المقطع مقتبس من قصـة الطوفـان البابلية « اثراخاسيس » ، النص رقم ١٢ / العمود الاول / السطر ٣٨ ـ ٤٨ ، اما في ملحمة كلكامش فان بطل الطوفان اوتنا بشتم يقول صراحة بـان الالـه انليل صار يبغضه وانه لذلك سوف يهجر ارض انليل وينزل الى العمق « ليقيم » مع سيده ايا ، اله المياه السفلى (انظر النص رقم ٣ / الاسطر ٣٥ ـ ٤٢) •

علما بانه لم ترد اشارة صريحة الى ذلك في النص • فهناك على سبيل المثال ذكر للنجارين ودورهم في بنائها كما يرد ذكر الالواح واستعمال القير لطلائها وغرز مسامير الخشب في الثقوب لمنع تسرب الماء على غرار ما يجري فعله عادة في السفن الخشبية ، هذا الى جانب ما حفظته التوراة عن سفينة الطوفان التي يذكر عنها صراحة انها صنعت من الخشب وطليت بالقير من الداخل والخارج[٧٧] •

ولكن خلافا لكل ذلك فانه يبدو من قصة الطوفان البابلية « اتراخاسيس » ان القصب كان المادة الرئيسة في بناء السفينة • فبالاضافة الى النجارين والمتطوعين ممن ورد ذكرهم في ملحمة كلكامش ، تذكر قصة الطوفان عامل القصب[٧٨] (في الاكدية atkuppu) الذي « جاء يحمل حجرة »[٧٩] استعدادا للاسهام مع غيره في بناء السفينة • وتبرز اهمية القصب بصورة لا تقبل الشك في بناء السفينة بما ورد ذكره في مقطع على رقيم مهشم من قصة الطوفان « اتراخاسيس »[٨٠] • اذ تنص الاسطر (٦ ـ ٨) من هذا المقطع الذي يحتوي على بقايا احد عشر سطرا تتعلق بمواصفات السفينة على مايلي :

ابن سفينة كبيرة •••••
وليكن بناؤها كليا بالقصب •••(٨١)
واجعلها سفينة ـ ماكو كور magurugr) (٨٢)
واسمها « منقذة الحياة »(٨٣)

لهذا يظهر اننا امام رواية جديدة بشأن المادة الاساسيةالتي صنعمنها هيكلالسفينة[٨٤] • ولايخفى ان القصب كان وما يزال ينمو بغزارة في جنوب القطر وانه مازال يستعمل ايضا في صناعة القوارب وكانت مثل هذه الاوعية والقوارب تطلى عادة بالقير لمنع نفاذ الماء • ومن الملاحظ ايضا ان stkuppu يذكر في النصوص المسمارية الى جانب النجارين الذين يشترك معهم عادة في بناء السفن • (حول مزيد من التفاصيل يراجع :
CAD, Vol. I part 2, atkuppu, p. 494 - 495

---

(٧٧) انظر سفر التكوين (٦ : ١٢ ـ ١٧) : فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد اتت امامي لان الارض امتلاءت الما منهم ، فها انا مهلكهم مع الارض • اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر وتجعل الفلك مساكن ، وتطليه من داخل ومن خارج بالقار ، وهكذا تصنعه ثلثمائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا عرضه وثلاثين ذراعا ارتفاعه • وتصنع كوا للفلك وتكمله الى حد ذراع من فوق • وتضع باب الفلك في جانبه • مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله • فها انا آت بطوفان الماء على الارض لاهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء « اما بيروسس فانه يروى بان طول السفينة كان خمسة استديم » (Stadium) وحدة لقياس الطول عند اليونان ابلغ ٢/١٨٧م) وان عرضها كان ٢ « ستديم » •

(٧٨) انظر النص رقم ٢ أ/الرقيم الثالث/ العمود الثاني / السطر ١٢ •

(٧٩) يظهر من الاشارات المتوفرة في النصوص المسمارية عن عامل القصب stkuppu (من المحتمل ان الكلمة سومرية الاصل ad - KID) انه كان يمتهن صناعة اشياء كثيرة من سيقان القصب والتي من أهمها الحصران وبعضالاوعية وكذلك القوارب• وكانت مثل هذه الاوعية والقوارب تطلى عادة بالقير لمنع نفاذ الماء • ومن الملاحظ ايضا ان stkuppu يذكر في النصوص المسمارية الى جانب النجارين الذين يشترك معهم عادة في بناء السفن • (حول مزيد من التفاصيل يراجع :
CAD, Vol. I part 2, atkuppu, p. 494 - 495

(٨٠) كانت الفأس (في الاكدية pashu) الاداة المميزة للنجار بينما يشار الى عامل القصب في النصوص المسمارية بانه كان يحمل حجرا (في الاكدية abnu) (التي على ما يبدو كان يستعملها في تسوية او بسط سيقان القصب •

(٨١) انظر النص رقم ٢ هـ •

(٨٢) كلمة واحدة مفقودة على الارجح •

(٨٣) الكلمة سومرية الاصل وتعني «السفينة» أي الفلك • علما بان ذكر هذا النوع من السفن نادر في النصوص المسمارية ، انظر :
Von Soden, Akkadisches Handwörterbuch, p. 577.

(٨٤) في الاكدية nasirat napishtim وانظر أيضا النص رقم ١/السطر ٢٠٧ ،٢٠٨

من مختلف الاحجام والتي تحتاج هي الاخرى لان تطلى بالقير من استعمالها •

وعلى اية حال فان اهمية هذه الكسرة الصغيرة من الرقيم (النص رقم ٦) الذي نحن بصدده الآن لا تنحصر في ذكر مادة البناء ونوع السفينة فقط ، وانما تشمل ايضا ذكر اسمها « منقذ الحياة » في الاكدية nasirat napishtim الذي يرد ذكره لاول مرة في النصوص المسمارية على ما نعرف•

اما بشأن المواصفات الاخرى التي تتعلق بالسفينة فان بحوزتنا ولحسن الحظ معلومات وافية عنهـا في الرقيم الحادى عشر من ملحمة كلكامش • يقول الاله ايـا وهو يخاطب رجل الطوفان اوتنابشتم :

هدم بيتك وابن سفينة •
اترك المال وانشد الحياة •
انبذ المال وانقذ النفس •
واحمل في السفينة بذرة كل المخلوقات الحية •
اما السفينة التي ستبنى
فاضبط مقاييسها
واجعل عرضها مساويا لطولها
واختمها مثل « ابسو » (مياه العمق) •

ويعلق رجل الطوفان على (أوامر الاله فيقول:

لقد فهمت (قصده) فقلت الى سيدي ايا
أجل يا سيدي ان ما امرت به الان سأتشرف بانجازه •

ولكن يبدو ان بناء السفينة لم يكن مسألة هينة في نظر رجل الطوفان « اتراخاسيس »بموجب قصـة الطوفان البابلية • اذ يظهر من رقيم يحتوى على سبعة عشر سطرا تحتوى على مادار من حديث بين ايـا واتراخاسيس بخصوص السفنية ، ان الاخير كان يجهل حتى شكل السفنية المطلوبة • ومن الطريف اننا نقرأ بان اتراخاسيس طلب من الاله ان يرسم له صورتها وان الاخير فعل ذلك :

ففتح اتراخاسيس فاه
وقال مخاطبا الاله ايا :
لم ابن سفينة من قبل ابدا ••• !
ارسم لي صورة على الارض
حتى ارى الصورة وابني السفينة
فرسم الاله ايا الصورة على الارض(٨٥)

وبعد سبعة ايام من العمل المتواصل استطاع رجل الطوفان ومن معه من عمال من اكمال بناء السفينة المطلوبة • وكان من المؤمل ان نحصل على اوصاف وتفاصيل من المحتمل ان تضيف معلومات جديدة عن السفينة في شكلها النهائي من قصة الطوفان البابليـة « اتراخاسيس » ، ولكن لسوء الصـدف ان الرقيـم الثالث من هذه القصة مخروم (٨٦) وفي المواضع التي كانت تحتوى بالاصل على اوصاف السفنية • ولذلـك فما زال الاعتماد بصورة رئيسة معلومات وافية وفـي غاية الاهمية • يصف اوتنابشتم السفينة فيقول :

وفي اليوم الخامس اقمت هيكلها
وكانت مساحة قاعدتها ايكو (uiku) (٨٧)
واحدا
وكان ارتفاع كل جدار منها ١٢٠ ذراعا (٨٨)
وطول كل من جوانب مسطحها ١٢٠ ذراعاً •
(هكذا) حددت ابعادها(٨٩) وهيكلها

---

(٨٥) انظر النص رقم ٢هـ/السطر ١١ـ١٦•

(٨٦) اربعة أو خمسة اسطر من نهاية العمود الاول وتسعة اسطر من بداية العمود الثاني وكذلـك الاسطر من ١٥ـ٢٨ من العمود الثاني •

(٨٧) الايكو في البابلية وحدة لقياس المساحة تقدر بـ ٢٦٠٠ مترامربعا •

(٨٨) الذراع (في البابلية ammatu) يساوي نصف متر تقريبا •

(٨٩) اما ابعاد السفينة كما جاءت في التوراة فهي٣٠٠ ذراعطولا و٥٠ ذراع عرضا و٣٠ ارتفاعا• انظر الحاشية (٧٧) •

لقد جعلت فيها ستة فواصل
وبهذا قسمتها الى سبعة طوابق
ثم قسمت ارضيتها الى تسعة أقسام
وغرزت فيها مسامير (خشب لمنع) الماء
ثم زودتها بالمرادف والمؤن
وسكبت ستة « سارات »(٩٠) من القير في الكور
وسكبت ايضا ثلاثة « سارات » من الزفت
وجاء حملة السلال بثلاثة « سارات » من السمن(٩١) .
اضافة الى « سار » واحد من السمن استنفذ في قلافة السفينة(٩٢)
والى «سارين» اثنين من السمن اللذين اختزنهما الملاح

يتضح مما ذكر عن ابعاد السفينة انها كانت على شكل مكعب منتظم طول ضلعه ١٢٠ ذراعا (٦٠ مترا) وارتفاعه ١٢٠ ذراعا ويتضح انها كانت تتكون من سبعة طوابق (decks) جاءت نتيجة تقسيمها من الاسفل الى الاعلى بستة فواصل الواحد منها فوق الاخر . واذا ما افترضنا ان الابعاد بين تلك الفواصل كانت متساوية فانذاك يكون ارتفاع كل طابق من طوابق السفينة ٢٠ ذراعا (١٠ امتار) . ولما كان ثلث السفينة قد غطس في الماء بعد انزالها ، فمعنى ذلك ان ٢٠ مترا منها كان تحت الماء و ٤٠ مترا فوقه . وبتعبير آخر تكون السفينة قد غطست الى مستوى الطابق الثاني وان خمسة طوابق كانت ظاهرة(٩٢) .

بقيت لدينا كلمة اخيرة بخصوص ابعاد السفينة. فالملاحظ ان طولها البالغ ٦٠ مترا ربما عاديا ، غير ان ارتفاعها الى مثل طولها امر غير مألوف في اية سفينة اخرى . ومن جهة اخرى علينا ان نأخذ بنظر الاعتبار ان السفينة لم تبن اصلا لاغراض الملاحة الاعتيادية او للابحار الى جهة معينة من الارض ذلك لان مثل هذه الجهة لم يعد لها وجود اثناء الطوفان الذي غمر الارض باجمعها . فالحاجة كانت تتطلب اذا بناء سفينة لها قابلية العوم بالدرجة الاولى واستيعاب اكبر عدد ممكن من الناس والمؤن والحيوانات والطيور . وهذا ما صنعه رجل الطوفان بالفعل ، اذ انه بنى سفينة على شكل عوامة ضخمة مكعبة الشكل طولها ٦٠ مترا وارتفاعها ٦٠ مترا ايضا . ولكن ينبغي ان ننوه الى ان كون السفينة او العوامة مكعبة الشكل لايعني بالضرورة اطلاقا ان جوانبها (جدرانها) كانت ترتفع بمستوى واحد من الاسفل الى الاعلى . فطالما ان السفينة كانت تتكون من سبعة طوابق فمن المحتمل انها كانت طوابق مدرجة اي ان يكون أعرضها هو الطابق الاسفل (٦٠ × ٦٠م) ، وهكذا تتناقص الطوابق كلما ارتفعت فيكون اصغرها الطابق السابع .

وبتعبير آخر ان العوامة كانت بموجب هذه

---

(٩٠) « سار » (sar) كلمة يعبر بها عادة عن الرقم ٣٦٠٠ . ولذلك فان مجموع ثلاثة سارات يكون ١٠٨٠٠ « وحدة » من مكيال لم يذكر في النص والذي من الجائز ان يكون الـ « سوتو » (sutu) البابلي وهو مكيال يساوي ثمانية لترات تقريبا . (بطبيعة الحال ينبغي ان نستبعد هنا الاستعمال المعروف للسار باعتباره وحدة لقياس المساحات السطحية ٣٦ مترا مربعا) .

(٩١) يستعمل صناع القوارب والسفن السمن كدخان لـ « الشيبك » (وهو قضيب خشبي يستعمل لبسط القير بصورة منتظمة) بين اونة واخرى، لان ذلك يسهل وينظم عملية الطلاء من جهة ويمنع التصاق القير بالشيبك من جهة اخرى . وقد اخبرنا أحد الزملاء بان صناع القوارب في جنوب القطر كانوا يستعملون الى فترة قريبة دهن السمك في هذه العملية لكثرة توفره في منطقة الاهوار .

(٩٢) اما في التوراة فان السفينة تتكون من ثلاثة طوابق سفلى ومتوسط وعلوى (انظر الحاشية ٧٧) ، في حين لم يرد ذكر للطوابق في رواية ببروسس

الفرضية على شكل برج مدرج اي زقورة ذات سبعة طوابق • ولا يخفى ان مثل هذا التصميم يعطيها قابلية على العوم والتوازن بسبب سعة قاعدتها وتدرج ارتفاع طوابقها اكثر مما لو كانت سفينة ذات شكل تقليدى او عوامة مكعبة منتظمة الشكل •

وبعد ان انتهى رجل الطوفان من بناء السفينة جاء دور تحميلها بالمؤن والبشر والحيوانات حسب تعليمات الاله ايا • وبموجب الرقيم الحادى عشر من ملحمة كلكامش كان الاله ايا قد امر رجل الطوفان اوتنابشتم ان « يحمل في السفينة بذرة كل المخلوقات الحية »[٩٣] ، ويعطي احد الرقيم من قصة الطوفان البابلية اتراخاسيس تفاصيل وافية بهذا الشأن • اذ جاء فيه على لسان الاله ايا وهو يخاطب رجل الطوفان قوله :

ترقب الوقت المحدد الذي سوف اخبرك عنه
ثم ادخل السفينة واغلق بابها
احمل فيها شعيرك وامتعتك واموالك
وزوجتك وصاحبك وقريبك والعمال الماهرين
واني سارسل اليك حيوان السهل وكل حيوان وحشي
يأكل العشب في السهل[٩٥]
وانها سوف تنتظر عند بابك

ويظهر من الرقيم الخاص بالطوفان في ملحمة كلكامش[٩٦] ، وهو النص الوحيد المتوفر في الوقت الحاضر • بخصوص من صعد فعلا الى السفينة، ان رجل الطوفان كان حريصا على اتباع وتنفيذ تعاليم الاله على النحو الذي جاء ذكره في اعلاه •

★ وتنفرد قصة الطوفان « اتراخاسيس » بذكر الساعة المائية (تسمى في البابلية maltaktu) وتوقيتها لمعرفة الساعة المحددة لحلول الطوفان[٩٧]• فقد ورد في نهاية الوصايا التي قدمها الاله ايا الى اتراخاسيس بشأن مواصفات السفينة ان الاله « فتح الساعة المائية وملءها واعلن له عن مجي الطوفان في الليلة السابعة »[٩٨]

وهكذا اتم رجل الطوفان كل شيء حسب اوامر الاله : اكمل بناء السفينة واصعد اليها المؤن والامتعة والاهل والعمال • ثم قبع فيها منتظر ساعة حلول الطوفان ، ذلك القدر الذى شاءت الالهة ان

---

(٩٣) النص رقم ٢/سطر ٢٧ •
(٩٤) النص رقم ٢ هـ/الاسطر ٥ـ١٠ •
(٩٥) يضيف احد النصوص فيذكر ايضا بان اتراخاسيس اصطاد « الطيور السماوية المجنحة » ووضعها في السفينة (النص رقم ٢أ/الرقيم الثالث/ العمود الثاني /السطر ٣٤ ـ ٣٥) • أما التوارة فتذكر بخصوص من صعد الى السفينة ما نصه : « ولكن اقيم عهدي معك فتدخل الفلك انت وبنوك وامراء ونساء بيت معك • ومن كل حي ، من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل الى الفلك لاستبقائها معك • تكون ذكرا وانثى • من الطيور كاجناسها ومن البهائم كاجناسها ومن كل دبابات الارض كاجناسها • اثنين من كل تدخل اليك لاستبقائها• وانت تتخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك• فيكون لك ولها طعاما • ففعل نوح حسب كل ما امر به الله • هكذا فعل » (التكوين ٦ : ١٨ـ٢٢) •
(٩٦) النص رقم ٨/ الاسطر ٨٠ـ٨٥ •
(٩٧) قسم البابليون النهار الى اثنتي عشرة ساعة أي ان الساعة البابلية تساوي ضعف الساعة الحالية • غير ان عدد ايام الشهر والسنة يساوي ما هو معروف في الوقت الحاضر •
(٩٨) أي انه انذار اتراخاسيس بمجيء الطوفان بعد سبع ليال (النص رقم ١٢/) الرقيم الثالث / العمود الاول / الاسطر ٣٦ـ٣٧) • ثم انظر ما يشابه ذلك في التوراة : « لان بعد سبعة أيام سأمطر على الارض اربعين يوما واربعين ليلة اومحو من وجه الارض كل قائم عملته » • (التكوين ٧ : ٤) •

ترسله لافناء البشرية • ويصف الكاتب البابلي لحظات الانتظار تلك بما فيها من خوف وقلق فيقول عن رجل الطوفان اتراخاسيس[٩٩] :

••• ارسل عائلته الى ظهر السفينة
فاكلوا وشربوا
اما هو فقد كان يدخل ويخرج
فلم يستطع ان يجلس او ان يسقر
لقد كان مكسور القلب يفيض قاهه مرارة[١٠٠]

★ ثم جاء الطوفان • وهنا يكون من المناسب ان نترك الحديث كليا الى الكاتب البابلي الذي صـــور ببراعة متناهية تفاصيل هذه الكارثة المهولة : رعـــد يشق عنان السماء ، اعاصير مدمرة تعصف وتزمجر « مثل نهيق حمار الوحش » ، فيضان عرم تخور مياهه مثلما « يخور الثور » ، ظلام حالك ودمار في كل مكان حتى ان الالهة نفسها تراجعت مذعورة الى اقصى السماوات •

يقول الكاتب البابلي لقصة الطوفان البابليـــة « اتراخاسيس »[١٠١] :

ثم تغيرت مظاهر الجو
وارعد الاله ادد في الغيوم
وحالما سمع (اتراخاسيس) صوت ادد
جيء له بالقير ليسد بابه
وبعد ان زلج الباب
كان الاله ادد يرعد في الغيوم
واصبحت الريح عاتية عند نهراه
فارخى الحبال وانطلقت السفينة مع التيار
(ستة اسطر مفقودة)
ومزق الاله الطائر زو ( ) بمخالبـــه
السماء[١٠٢] •
••• البـــلاد
وحطم ضجيجها مثل الاناء
••• وبدأ الطوفان
وكان في شدته على الناس كالحرب الضروس
فلم يعد بامكان الاخ أن يرى اخاه
ولم يعد بالامكان التمييز بينهم لهول الدمار
وكان الطوفان يخور كالثور
وكانت الاعاصير تعصف مثل نهيق حمـــار الوحش
وكان الظلام حالكا (بعد ان) اختفت الشمس

ويصف اديب بابلي آخر هول الطوفان كما جاء على لسان اوتنابشتم في الرقيم الحادى عشر من ملحمة كلكامش فيقول[١٠٣] :ـ

(ولما) حان ذلك الوقت المعين
وانزل الموكل بالشرور في الليل مطر الهلاك
تطلعت الى حالة الجو
فكان الجو مخيفا للنظر
(وعندئذ) دخلت السفينة واغلقت الباب
(واسلمت) دفة (؟) السفينة الى الملاح بوزور ـ اموري Puzur-Amuri (١٠٤)
وعند اول اطلالة الفجر
ظهرت في الافق سحابة سوداء
كان الاله ادد يرعد في داخلها

---

(٩٩) النص رقم ٢ أ / الرقيم الثالث /العمود الثاني / الاسطر ٤٥ ـ٤٧ •

(١٠٠) حرفيا « كان مكسور القلب يقتـــي مرارة » (في الاكدية martu)

(١٠١) النص رقم ١٢/الرقيم الثالث/العمود الثاني / السطر ٤٨ وما بعده

(١٠٢) اله بهيئة طائر نسجت حوله اسطـورة بابلية تتحدث عن اختطافه الواح القدر مـن الالـــه الليل اثناء ما كان الاخير يستحم • والمفروض في تلك الالواح انها كانت ذات مغول سحري فهي تمكـــن حاملها من السيطرة على الكون باجمعه •
حول هذه الاسطورة بشكلها النهائي انظر الان:
ANET (third ed.), p. 514-517

(١٠٣) النص رقم ٣/ السطر ٨٩ وما بعده •

(١٠٤) ترد الاشارة الى ملاح أو ربان السفينة في رواية بيروسس ايضا اما في التوراة فلم يـــرد ذكـر له •

(بينما) كان شـــوللات (Hanish)
وخـــانيش (Shullat)
يسيران في مقدمتها
(وعندئذ) اقتلع الاله ايراكال (Erragal)
دعائم السد للمياه السفلى
وانطلق الاله ننورتا (Ninurta) ليجعـل
المياه تطغى من فوق السدود
ورفع انوناكي (Anunnaki) المشاعل
فاضاءت بنورها الارض
ولما وصل الرعب من الاله ادد الى عنان السماء
وتحطمت الارض الواسعة مثلما (يتحطم)
الانـــاء
استحال كل نور الى ظلمة
وظلت ريح الجنوب تهب يوما (كاملا)
وتزايدت سرعتها وهي تهب حتـى (غطـــت
الجبـال)
وفتكت بالناس مثل حرب ضروس
فلم يستطع الاخ ان يرى اخاه
ولم يكن بالمستطاع تمييز الناس من السماء
حتى ان الالهة ذعروا لهول الطوفان
فاخذوا يتراجعـون الى خلف حتى وصلوا الى
سماء الاله آنو(١٠٥)
واستكان الالهة وكانهم كلاب تربض بمحـاذاة
الجـدار

★ واستمرت الحال على هذا المنوال سبعة ايـام وسبع ليالي(١٠٦) حتى جاء الطوفان على كل من في الارض من بشر ماعدا من كان في السفينة • ويصف الاديب البابلي في قصة « اتراخاسيس » الموتى مـن الناس فيقول :

كانوا يملاءون النهر وكأنهم فراشات
وقد تحاشدوا كالاكلاك عند حالة النهر(١٠٧)

ويصف اديب آخر في ملحمة كلكامش لذلـك بقوله :

واصبحوا يملاءون البحر وكأنهـــم صـــــغار
الســمك(١٠٨)

ويقول عنهم رجل الطوفان اوتابشتم بعد ان هدأت المياه وانتهى الطوفان :

وتطلعت الى الجو فوجدت السكون يخيم في كل
مكـان
وقد تحول البشر جميعا الى طين(١٠٩)

كان هلاك الناس على هذا النحو مدعاة لنـــدم شديد وحزن عميق بين الالهة وخاصة تلك التـي عرفت بحبها للبشر مثل الاله انكي والالهة ننتو (في قصة اتراخاسيس) ونظيرتها عشتار (في ملحمـــة كلكامش) • فقد عبر الاله انكي عن سخطه وغيضه بينما راحت الالهة ننتو تبكي وتنوح على ذريتها مـن البشر وتلقي باللوم على الاله انليل لانه اقدم على احداث الكارثة الرهيبة :

وكان انكي يتفجر غضبا
وهو يرى ابناءه (البشر) يتساقطون امامـه
اما ننتو ، السيدة العظيمة ،
فقد غطت شفتيها اثار الحمى
وكان الالهة العظام انو ناكي
قابعين عطش وجوعى
وحالما رأت الالهة ذلك بكت
(ثم قالت) مولدة الالهة ، مامي الحكيمة
ليت النهار صار مظلما
وليته رجع حالكا

---

(١٠٥) اله السماء . اما سماؤه فكانت اعلى السموات في معتقدات سكان وادي الرافدين •

(١٠٦) لاحظ ايضا ان الاله أيا كان قـــد انذر اتراخاسيس بحلول الطوفان في الليلة «السابعة» وان بناء السفينة استغرق هو الاخر « سبعة » أيام•

(١٠٧) النص رقم ١٢أ/الرقيم الثالث/العمود الرابع/الاسطر ٦ـ٨ •

(١٠٨) النص رقم ٣ / سطر ١٢٣ •

(١٠٩) النص نفسه / سطر ١٣٢ ـ ١٣٣ •

اذ كيف جوزت لنفسي(١١٠) ان امر معهم في
مجلس الالهة
بدمار شامل
اما اكتفى الاله انليل بما نفذ من أوامر شريرة
ومثل تيروري (Tiruru) ذلـك فانـه
نطق بشر مقيت
ونتيجة لما اخترته بنفسي انا
اني استمعت اليهم فجلبت الضر الى نفسي
فاصبحت ذريتـي التي ولدتهـا تتسـاقط)
كالذباب
أما انا فقد بح صوتي (من كثرة البكـاء)
كالساكنة في بيت للنواح
هل ارتقي الى السماء كما لو كنت ساكنة فـي
بيت الكنوز ؟
الى حيث ذهب القائد آنو
الذي اطاع ابناؤه المقدسون اوامره ؟
الذي لم يكترث فجاء الطوفان
والذي اسلم الناس الى الدمار ؟

ثم يصف الاديب البابلي في قصة اتراخاسيس ما حل بالناس من هلاك وبالالهة نفسهـا من بؤس وشقاء بسبب الطوفان ، فيقول :

وكانت الالهة ننتو تنوح ...
ماذا جرى ؟ هل انهم جاءوا بالبحر ... ؟
انهم يملاءون النهر وكانهم فراشات
وقد تحاشدوا عند حافة النهر وكانهم اكلاك
فرايتهم وبكيت عليهم
حتى استنفدت نواحي من أجلهم
أجل لقد بكت فتنفست الحزن عن قلبها
وناحت ننتو حتى استنفدت عواطفها
وبكي الالهة معها من أجل الارض
لقد شبعت (ننتو) حزنا فظمات الى الخمر
وحيثما جلست فانهم (الالهة) جلسوا باكين
فملاءوا احواض السقي وكانهم اغنام (١١١)
وكانت شفاهم محمومة من العطش
وكانوا يتضورون من الجوع(١١٢) .

وفي ملحمة كلكامش تبرز الهة الحب والجنس عشتار بدور مماثل للالهة ننتو . فهي الاخرى ترفـع صوتها عاليا معبرة عن ندمها عن حزنها واسفها على الناس : (واذاك) صرخت الالهة عشتار وكأنها امرأة في المخاض صرخت عاليا سيدة الالهـة ذات الصوت العذب (وقالت)(١١٣) :

واسفاه ! لقد تحولت تلك الايام القديمة الى طـين
لانني نطقت بالشر في مجلس الالهة
فامرت بحرب مدمرة على شعبي
في حين انا التي ولدت اناسي هؤلاء !

★ نعود الآن الى السفينة « منقذة الحياة » والى الطوفان الهائج . فيتضح من قصة « اتراخاسيس » ان الطوفان استمر على شـدته سـبعة ايام وسـبع ليالي(١١٤) ، ومعنى ذلك انـه انتهي بنهاية الليلـة السابعة . اما في ملحمة كلكامش فان الصورة اكثـر وضوحا . اذ نحن نقرأ ان الطوفان والاعاصير استمرت تكتسح البلاد ستة ايام وست ليالي واته « عندما حل اليوم السابع ، خفّت وطأة الرياح الجنوبية للطوفان

---

(١١٠) من الواضح ان بعض الالهة من امثال انكي وننتو (أو عشتار) قد عارضوا بشدة ارسـال الطوفان على الناس ولكنهم رضخوا في النهاية مكرهين امام اصرار وعناد الاله انليل

(١١١) يمثل الكاتب البابلي الالهة وكانها اغنام تزاحمت عند احواض السقي .

(١١٢) هنا تبرز بوضوح العقيدة القائلة بان الالهة خلقت الانسان من أجل ان يحمل عنها مشـقة العمل ويقدم لها الطعام والشراب فتنعم هي بالراحة . فعطش وجوع الالهة اللذان يتحدث عنهما الناس انما يعزيان الى هلاك الناس وعدم وجود من يجهز الالهـة بما تحتاج اليه من أكل وشراب . وقد بلغت حالتهم المزرية حدا بحيث انهم « تهافتوا كالذباب » عـلى القربان الذي قدمه لهم رجل الطوفان او تنابشـتم بعد انحسار المياه وانتهاء الطوفان .

(١١٣) النص رقم ٣/ الاسطر ١١٦ـ١٢٩ .

(١١٤) النص رقم ٢ أ / الرقيم الثالث / العمود الرابع/ الاسطر ٢٤ـ٢٥ .

في الهجوم الذي شنته كالجير في المعركة » • ثم هدأ البحر وسكنت العواصف وانتهى الطوفان[١١٥] •

اما عن السفينة « منقذة الحياة » وعن من كان فيها بعد ان انتهى الطوفان ، فان معلوماتنا مستمدة بصورة رئيسة من الرقيم الحادى عشر لملحمة كلكامش حيث ان الرقيم الثالث من قصة اتراخاسيس مخروم[١١٦] في هذا الوضع من قصة الطوفان •

يقول رجل الطوفان اوتنابشتم انه تطلع من سفينته الى الجو بعد هدوء العواصف والمياه فوجد ان السكون يخيم في كل مكان « وان البشر جميعا تحولوا الى طين » • ثم يصف مشاعره وقد زال عنه الخطر واصبح قاب قوسين من ساحل النجاة فيقول :

ثم فتحت نافذة (في السفينة) فسقط النور على وجهي
فسجدت وجلست باكيا
والدموع تجري على وجهي
ثم اخذت اتطلع الى سواحل البحر الواسع
فبانت الارض من مسافة اثني عشر ميلا مضاعفا(١١٧)

وفي تلك الاثناء استقرت السفينة على جبل اسمه نيسير(Nisir)[١١٨] ومضت ستة ايام « وجبل

---

(١١٥) النص رقم ٣/الاسطر ١٢٦ـ١٣١ • أما في التوراة فان الطوفان استغرق من بدايته الى نهايته مئة وخمسين يوما ، من اليوم السابع عشر من الشهر الثاني (ايار) الى اليوم السابع عشر من الشهر السابع (تشرين الاول) • فبعد اربعين يوما واربعين ليلة من تدفق مياه الغمر وهطول الامطار دخل نوع السفينة التي بقيت عائمة على وجه الماء ولم تستقر على الجبل الا بعد ان انحسرت المياه في اليوم السابع عشر من الشهر السابع • (التكوين ٦ : ١٠ وما بعدها ، ٧ : ١ ـ ٦) • أما بموجب رواية بيرومسس فان الطوفان حدث في اليوم الخامس عشر من شهر Daisios الذي يقابله فيالتقويم البابلي شهر ايار وهو ثاني شهر في السنة البابلية •

(١١٦) بمقدار خمسة عشر سطرا من نهاية العمود الرابع وتسعة وعشرين سطرا من بدايةالعمود الخامس (انظر النص رقم ٢) •

(١١٧) حول ترجمة هذا السطر بالذات ،انظر الان : CAD, Vol. 4 sub elu, p. i2i c.

(١١٨) منذ سنة ١٩٢٦ والرأي السائد بين معظم الباحثين بالمساريات ان جبل نيسير يقع في منطقة كردستان وانه من المحتمل ان يكون جبل بيره مكرون الذي يعتبر من أعلى جبال المنطقة حيث يبلغ ارتفاعه ٢٦٨٤ مترا اي نحو ٩ الاف قدم وهو يقع بالقرب من السليمانية • وقد جاء هذا التعيين لجبل نيسير بالدرجة الاولى على ضوء ما تذكره كتابات الملك اشور ناصر بال الثاني (٨٨٢ـ٨٥٩ ق•م•) التي تقرنه ببلاد الكوتيين وتحدد موقعه الى جنوبي الزاب الصغير (انظر حول ذلك) : Speiser, AASOR, VIII (1926/27, p. 17 - 18)

وبيرەمه كروون في الواقع اسم لاحد الشيوخ الباطنية ــ الاسماعيلية الذي يوجد ضريحه تحت قمة هذا الجبل والذي ربما كان اسمه الاصلي بير عمر كودرووك ، (انظر مقالة Speiser في أعلاه) أو بيرعەنبەر كودرووون (انظر « سفرة من دەربه ندي بازيان الى ملەى ناسلوجه » للاستاذ توفيق وهبي ص ٢٨ـ٢٩ ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٦٥) • اما بخصوص الرأي القائل باحتمال قراءة اسم الجبل في الكتابة المسمارية بشكل Nişir (بالصاد بدل السين) ومن ثم تفسير معناه بـ «جبل الخلاص » (أو النجاة من الفعل naṣaru) فانه في اعتقادنا غير محتمل لصعوبة مثل هذا الاشتقاق اللغوي في الاكدية (انظر المشتقاتالمختلفة من الفعل nasaru في : AH, pp. 755 ff.) • أما المؤرخ البابلي بيروسس فانه يذكر بان سفينة زيوسدرا (رجل الطوفان في القصة السومرية) قد استقرت على جبال Gordyaean في ارمينيا • وتذكر التوراة بهذا الخصوص انها استقرت على جبال اراراط • علما بان (اراراط عبارة عن تحوير للاسم القديم اورارتو Urartu) الذي يرد ذكره في الكتابات المسمارية والذي يقصد به بلاد ارمينيا ايضا •

نيسير ممسك بالسفينة ولا يدعها تتحرك » على حد قول اوتنابشتم • وبتعبير آخر لقد اصبح اكيدا لرجل الطوفان ان السفينة قد بلغت مستقرها الاخير وانه لا امل في ان تتحرك من ذلك الموقع ابدا • وعندئذ اي في اليوم السابع من استقرارها على جبل نيسير اخرج اوتنابشتم حمامة واطلقها :

وراعت الحمامة ولكنها لم تلبث ان رجعت
لقد رجعت الحمامة لانها لم تجد موطناً لها
(وعندئذ) اخرجت السنونو واطلقته
وراح السنونو ولكنه لم يلبث ان رجع
لقد رجع السنونو لانه لم يجد
(ومن ثم) أخرجت الغراب وأطلقته(١١٩)
وراح الغراب ولكنه عندما رأى ان المياه انحسرت
أكل وحام ونعق ولم يرجع

وعندئذ خرج رجل الطوفان لاول مرة من السفينة بعد اربعة عشر يوما من دخوله اليها ، فسكب الماء المقدس على قمة الجبل ونصب القدور ليعد الطعام قربانا للالهة ، وسرعان ما فاحت رائحة الطعام الطيبة فشمها الالهة « وتجمعوا حول مقدم القربان كالذباب » على حد تعبير النص البابلي •

(بقية البحث في عدد قادم)

---

(١١٩) تسمى الحمامة والسنونو والغراب بالاكدية على التوالي سوماتو (summatu) وسينونتو (sinuntu) واريبو (aribu). •

وتذكر التوراة بخصوص الطيور التي اطلقها نوح ما نصه : " وحدث بعد اربعين يوما ان نوحا فتح طاقة الفلك التي قد عملها أرسل الغراب • فخرج مترددا حتى نشفت المياه عن الارض ، ثم أرسل الحمامة من عنده ليرى هل قلت المياه على وجه الارض فلم تجد الحمامة مقرا لرجلها فرجعت اليه الى الفلك ، لان مياها كانت على وجه كل الارض فمد يده واخذها وادخلها عند الفلك • فلبث ايضا سبعة ايام اخر وعاد فارسل الحمامة من الفلك • فاتت اليه الحمامة عند المساء واذا ورقة زيتون خضراء في فمها • فعلم نوح ان المياه قد قلت عن الارض • فلبث ايضا سبعة ايام اخر وارسل الحمامة فلم تعد ترجع اليه ايضا (التكوين ٨ : ٦ ـ ١٢) • اما بيروسس فانه يذكر بان رجل الطوفان زيوسدرا اطلق الطيور ثلاث مرات متوالية ولكن من دون ان يشير الى صنفها وان الطيور عادت اليه في المرة الثالثة والطين في ارجلها فعرف من ذلك ان المياه بدأت بالانحسار • وعلى اية حال فان اخر طير اطلقه رجل الطوفان في القصة البابلية كان الغراب يلفه الغموض • اذ عندما اطلقه نوح بقي يروح ويجيء اي " يتردد " (went forth to & fro)" على حد تعبير التوراة " حتى نشفت المياه عن الارض » • واذا كتب على الغراب ان يحضى لهذا السبب ولاسباب اخرى بكراهية بني البشر له وتطيرهم منه فقد نالت الحمامة على العكس من ذلك على اعجابهم في مختلف العصور لانها كانت دليل نوع عندما رجعت اليه وفي فمها غصن الزيتون • ويعلق الجاحظ في كتابه الحيوان على هذه النقطة فيقول : « أما العرب والاعراب والشعراء فقد اطبقوا على ان الحمامة هي التي كانت دليل نوع ورائده وهي التي استحقت عليه الطوق الذي في عنقها • وعند ذلك اعطاها الله تعالى تلك الحلية ومنحها تلك الزينة بدعاء نوح عليه السلام حين رجعت اليه ومعها من الكرم ما معها وفي رجليها من الطين ما برجليها ، فعوضت من ذلك الطين خضاب الرجلين ومن حسن الادلة والمطالعة طوق العنق » (الحيوان ، الجزء الاول / ص ٤٦٩ـ٤٧٠)•